الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الميدان : اللغة والادب العربي

فرع : دراسات لغوية

المطبوعة البيداغوجية

محاضرات في مقياس الاسلوبية وتحليل الخطاب

لطلبة السنة الثانية ليسانس ل . م . د

التخصص: دراسات لسانية

إعداد وتقديم الدكتور

جوبر عبد الحفيظ

السنة الجامعية : 2025 - 2026

مقدمة:

يسعدني أن أتقدم لطلبتنا الأعزاء بهذه السلسلة من المحاضرات في مقياس الاسلوبية وتحليل الخطاب، للسنة الثانية L.M.D، تخصص دراسات لغوية، والتي تضم مجموعة من المفاهيم النظرية والتطبيقية والمتوافقة مع المفردات المبرمجة في هذا المقياس. وبغية تحقيق الأهداف التي نذكرها في التمهيد.

ولهذا تم عرض هذه المفاهيم والتطبيقات في تدرج متسلسل كما هو مقرر رسميا ضمن محاور محددة كما في الجدول الآتي:

رقم	مفردات المحاضرة	مفردات الأعمال الموجّهة
01	أولا: الأسلوبيّة: مفهوم الأسلوبيّة ومجالها	مصطلح الأسلوبيّة/ مجال الأسلوبيّة
02	الأسلوبيّة التّعبيريّة	التّطبيق على نص شعري، نصّ نثري
03	الأسلوبيّة البنيويّة	التّطبيق على نص شعري، نصّ نثري
04	الأسلوبيّة الإحصائيّة	التّطبيق على نص شعري، نصّ نثري
05	الأسلوبيّة النّفسية	التّطبيق على نص شعري، نصّ نثري
06	الأسلوبيّة التّوزيعية	محدّدات الأسلوب (الاختيار التركيب)
07	الظواهر الأسلوبية (الانزياح والمفارقة)	التّطبيق على نص شعري، نصّ نثري
08	ثانيا: تحليل الخطاب: ضبط مفهومَي النصّ والخطاب	قراءة في المعاجم والنّصوص النّقدية
09	أصناف الخطاب: الخطاب اللّغوي وغير اللّغوي	تطبيق على نماذج
10	مقاربات تحليل الخطاب 1	ميشال فوكو
11	مقاربات تحليل الخطاب 2	فان دايك

12	مقاربات تحليل الخطاب 3	فريديريك مانقونو
13	مقاربات تحليل الخطاب 4	رولان بارث
14	الأسلوبيّة وتحليل الخطاب 1	عبد السلام المسدّي/ الطرابلسي
15	الأسلوبيّة وتحليل الخطاب2	نور الدّين السدّ/ محمد ملاحي/ منذر عياشي

وآمل أن تكون المطبوعة المت بالمواضيع المقررة وأسهمت في تزويد الطالب بالمادة العلمية ، وأشبعت حاجته ، وقدمت بعض النفع ، والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التمهيد:

المصطلحات مفتاح كل علم وبابه الذي يكشف عن حقائقه ومكنوناته. ولذا نورد اولا مفهوم مصطلحات هذا العلم وهما الاسلوبية وتحليل الخطاب ثم أهدافه وأهميته.

الأسلوبية: علم يرصد تمايز النصوص وجمالياتها عبر مستويات اللغة، ارتكازا على "الانزياح" للتأثير في المتلقي.

تحليل الخطاب: حقل يتجاوز الجملة ليدرس النصوص الكبرى ويفسر معناها من خلال تفاعلها مع السياق والمقاصد والمقام.

الأهداف المعرفية والمنهجية للمقياس:

يهدف إلى دراسة هذا الحقل التقاطعي إلى تحقيق جملة من الغايات البيداغوجية أبرزها:

1. **تتبع الانعطاف اللساني:** فهم التحول من بنيوية "سوسير" المغلقة إلى لسانيات النص، ثم إلى التداولية والعرفانية الحركية.
2. **امتلاك آليات التفكيك:** التسلح بقرائن لغوية وسياقية لاستنطاق النصوص علميا بعيدا عن العفوية الانطباعية.
3. **ربط التنظير بالتطبيق:** ردم الفجوة بين اللسانيات الغربية الحديثة والتراث النقدي والبلاغي العربي.

الأهمية العلمية والتحليلية للمادة:

تكمن أهمية الاقتران بين الأسلوبية وتحليل الخطاب في تقديم مقاربة "بين بينية" تفسر ظواهر الخطاب الإنساني عبر مستويات متعددة:

غلق الفجوة الدلالية: التمييز بين (المقول والمقصود) برصد المعاني المبطنة كالسخرية عبر القرائن السياقية والتوجيه البراغماتي.

الانسجام السيميائي: تتبع "التشاكل الدلالي" بتكرار السمات الصغرى لمنع تشتت المعنى وتوجيه التأويل.

البعد العرفاني: دراسة الخطاب كنظام لغوي فِطري تتخمر فيه الخبرات والخطاطات الذهنية.

خلاصة : تضيء **الأسلوبية** جماليات الأداء اللغوي وانزياحاته، بينما يستنطق **تحليل الخطاب** السياقات والمقاصد والبنى العميقة.

أولا: الاسلـــــوبية

المحاضرة الأولى:

مفهوم الأسلوبية ومجالها

مدخل:

تفتح الأسلوبية للدارس مجالات واسعة في التعامل مع النص الأدبي وفهمه واكتشاف عناصر إبداعه وتمايزه، مستندة في ذلك إلى جملة من المناهج اللسانية والجمالية التي تسعى إلى تحليل الخطاب الأدبي والكشف عن خصائصه التعبيرية والفنية، فهي لا تكتفي بدراسة المعاني الظاهرة للنص، بل تتجاوز ذلك إلى استكشاف الكيفية التي صيغت بها هذه المعاني، من خلال رصد الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تمنح النص فرادته وتميزه.

كما تهتم الأسلوبية بدراسة العلاقات القائمة بين المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، وبيان دورها في إنتاج الأثر الجمالي وتحقيق التواصل بين المبدع والمتلقي، ومن خلال هذا المنظور، تساهم الأسلوبية في الكشف عن البنية العميقة للنص وإبراز ملامح الإبداع فيه، مما يجعلها من أبرز المناهج النقدية الحديثة القادرة على فهم النصوص الأدبية وتحليلها وفق رؤية علمية تجمع بين الدقة اللغوية والوعي الجمالي.

أولا: مفهوم الأسلوبية(Stylistics) :

1- التعريف العلمي والمنهجي للأسلوبية:

تعرّف الأسلوبية بأنها علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب خصائص شعرية فتميزه عن غيره، وتتعدى مهمة الأسلوبية مجرد تحديد الظاهرة لتصل إلى دراستها كظاهرة لغوية ضمن النص الأسلوبي، وهي بذلك تعد دراسة منهجية للأسلوب، ومن ثم فإن مصطلح الأسلوبية يتجاوز مصطلح الأسلوب، كونها تظل في دائرته ولكنها تفتح في الوقت ذاته مجالات أرحب وأفسح، منها: (دراسة الإمكانات اللغوية التي تولد التأثيرات الجمالية – دراسة الركائز التي يعتمد عليها هذا التأثير الجمالي).

وتأخذ الأسلوبية مفهوم "البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب" وهي دراسة علمية موضوعية لجانب إنساني ذاتي وهو الأسلوب، وتعنى بالبحث عن الأدبية عبر الانزياح اللغوية والبلاغية في الكتابة[1].

2- مفهوم الأسلوبية عند رواد اللسانيات والمنظرين الغربيين: تباينت الرؤى النظرية في تحديد دلالة الأسلوبية تبَعا للمنطلقات المعرفية لكل باحث، ومن أبرز هذه الطروحات:

رومان جاكبسون(Roman Jakobson) : ركز على الجانب الفني والجمالي في النصوص الأدبية، وعرف الأسلوبية بأنها: "البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا"[2].

ميشال ريفاتير (Michael Riffaterre) : حدد مفهومها بأنها "علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية، وهي تعنى بالبحث عن دراسة موضوعية أبنية الأثر الأدبي اللسانية القارة في علم إرساء الأسس التي تتحاور مع سياق المضمون تحاورا خاصا" بمعنى أنها دراسة لغوية تعنى بالبحث عن الأثر الفني في النصوص الأدبية[3].

بيير جيرو (Pierre Guiraud) : ذهب إلى أن الأسلوبية تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب، وبما يجعل جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغته البلاغية، فالأسلوبية تسعى لتحديد الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية[4].

ثانيا: التطور التاريخي وعلمية البحث الأسلوبي:

1- التأسيس والنشأة: يرجع أصل مصطلح الأسلوبية تاريخيا إلى الباحث **تسبولن درجابلن** الذي أطلقه سنة 1875م، إلا أن القواعد الأساسية لهذا العلم أرسيت عام 1902م على يد

---

[1] – صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، القاهرة: دار الشروق، 1998م، ص 45.

[2]– رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988م، ص 24.

[3] –ميشال ريفاتير، نقلاً عن: صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 89.

[4]– بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1994م، ص 12.

الباحث **شارل بالي (Charles Bally)** ، مثلما أرسى أستاذه فرديناند دي سوسير أصول علم اللغة "اللسانيات الحديثة"، غير أن آراء شارل بالي مرت بأطوار من النقد والشك أو نبذ الجانب العقلاني فيها، وبرز من بين هؤلاء المشككين: **ليو سبيتزر(Spitzer)** ، وكروتشه **(Croce)** ، **وماروزو (Marouzeau)** ، حيث تهافتت في طروحاتهم أسلوبية البحث الأسلوبي العلمانية وكفرت بالذاتية[1].

2- تأسيس العلم وإثبات شرعيته الإجرائية: توالت الدراسات بعد ذلك سعيا لإثبات شرعية الأسلوبية وعدها علما له مقوماته وموضوعه وأدواته الإجرائية، وكان ذلك مع ثلة من كبار الباحثين والمؤلفين أبرزهم: **رومان جاكبسون، وميشال ريفاتير، وستيفن أولمان، وباختين، ودي لوفر.**

3- ثنائية الخطاب(أسلوبية "بالي" في مقابل أسلوبية "الخطاب الفني"): إن أسلوبية شارل بالي تبحث في الخطاب الإنساني المطلق الوجود أينما كان ولا تختص بالحدث الأدبي وحده، فهو لم يعمد فحسب إلى تقسيم اللغة إلى لغة الخطاب النفعي ولغة الخطاب الأدبي، بل رغب عن هذا التصنيف وذهب إلى تصنيف الخطاب إلى نوعين: ما هو حامل لذاته (وجه فكري)، وما هو حامل للعواطف والخلجات والانفعالات (وجه عاطفي)، ومعدن الأسلوبية وحقيقتها حسب بالي هو ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تُبرز المفارقات العاطفية، بل حتى الاجتماعية، والنفسية، والجمالية، والإرادية، وبالذات في اللغة الشائعة التلقائية قبل أن تنكشف في الأثر الفني[2]، أما جل رواد الأسلوبية الآخرين فقد خالفوا بالي، وقصروا الأسلوبية على الخطاب الفني دون غيره، وخصوها بأنها تبحث فيما يتميز به الكلام الفني، أي دراسة الخصائص اللغوية التي تميز الكلام الأدبي عن غيره من الكلام، أو الخصائص التي تجعل الكلام ذا أثر فني.

---

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 52-58.

[2] - المرجع السابق ص 52-58. .

ثالثا: الأسلوبية كمنهج نقدي وتقاطعاتها اللسانية:

الأسلوبية منهجا نقديا يمكن القارئ من إدراك خصائص انتظام الأسلوب الفني إدراكا نافذا مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية، وهي لم تكن مقتصرة على دراسة الأدب، بل تدخل في مجال الدرس اللساني عامة، وقد تقاطعت الأسلوبية وتكاملت مع لسانيات دي سوسير، ثم طوّر معالمها تلميذه شارل بالي في كتابه الشهير "**مصنف الأسلوبية الفرنسية (Traité de stylistique française)** "مركزاً على الجوانب النفسية، والوجدانية، والتعبيرية اللغوية[1]، ثم جاء **مارسال كروسو** ليحول الجانب الوجداني للغة إلى مفهوم جمالي، ولحقه في ذلك **بيير جيرو[2]**، اذا "الأسلوبية أو علم الأسلوب هو علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه من غيره، وتتعدى مهمة تحديد الظاهرة بمنهجية علمية لغوية إلى دراستها بوصفها ظاهرة لغوية أساسية في الأسلوب تدرسها ضمن نصوصها"[3].

رابعا: تحديد مفهوم الأسلوب وركائزه الثلاث:

تعتبر الأسلوبية مظهرا مهما في دراسة النص الأدبي يلح على دراسة البعد الفني والجمالي الإبداعي، ولكي يتأتى الفهم الجيد لهذا العلم، يجب تحديد موضوعه وهو "**الأسلوب**"، وقد لخص الباحث عبد السلام المسدي تحديد الأسلوب في كتابه **(الأسلوب والأسلوبية)** اعتمادا على ركائزه الثلاث الكبرى الكامنة في عملية التواصل[4].

1- تحديد الأسلوب باعتبار المخاطِب:

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الأسلوب عبارة عن معانٍ مرتبة في عقل صاحبها قبل أن تكون ألفاظا يجري بها اللسان أو يخطها القلم، لذلك فكل أسلوب هو صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلى الأشياء وطبيعة انفعالاته وتفسيره لها، وتأثر

---

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 52-58.

[2]- بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1994م، ص 12.

[3]- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 45.

[4]- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م، ص 37.

أصحاب هذا الاتجاه بعدة نظريات علمية وفلسفية: نظرية **بوفون (Buffon)** بأن "الأسلوب هو الإنسان عينه"، وعرّفه **شوبنهاور (Schopenhauer)** بكونه ملامح الفكر وتبنى ذلك **فلوبير(Flaubert)** ، وكذلك فعل **ماكس جاكوب (Max Jacob)** الذي قال: "إن جوهر الإنسان في لغته وحساسيته" وعندما يتحدد الأسلوب هنا، تصبح النصوص الأدبية انعكاسا لفكرة صاحبها وصورة عن واقعه النفسي والاجتماعي[1].

2- تحديد الأسلوب باعتبار المخاطَب (القارئ):

يتحدد مفهوم الأسلوب هنا من خلال عدة عناصر، تبرز في مقدمتها فكرة **التأثير** التي تستوعب مفاهيم كالإقناع، والإثارة، والإمتاع، فالأسلوب حسب بيير جير"مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ وإمتاعه وإثارته"[2]، ويبين **ميشال ريفاتير** دور القارئ فيعرفه بأنه: "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه لها بحيث إذا غفل عنها شوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات تميزية خاصه"[3]، ويعود الاهتمام بالقارئ إلى **شارل بالي** الذي يرى أن ملمح التأثير هو إضافة تحمل محتوى عاطفياً للتعبير

3- تحديد الأسلوب باعتبار الخطاب (النص ذاته): أشار بالي إلى القارئ ولكنه لم يغفل الخطاب، بل حصر مدلول الأسلوب في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم الخطاب بخروج اللغة عن عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي الفعلي، فالأسلوب حسب تصور بالي "هو الاستعمال ذاته، فكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة، والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر ومن هذا المنطلق، يتوجه الباحث في دراسة الأسلوب إلى **النص ذاته بمعزل عن المؤلف والمتلقي**، وذلك للكشف عن الطاقات التعبيرية والشعرية والجمالية الكامنة في لغته "[4].

---

[1] – المرجع السابق، ص 41-43.

[2]– بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 34.

[3]– ميشال ريفاتير، نقلا عن: عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 65.

[4]– صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 58.

خلاصة:

تمثل الأسلوبية علما لغويا حديثا ونظاما منهجيا موضوعيا انبثق من رحم اللسانيات المعاصرة ليتجاوز النقد الانطباعي، حيث يسعى لاستكشاف "الأدبية" والشعرية في الخطاب عبر تتبع الانزياحات البلاغية وتحويل الكلام من سياقه الإخباري العادي إلى وظيفته التأثيرية والجمالية، وقد مر هذا العلم بمخاض تاريخي منذ صياغة مصطلحه سنة 1875م على يد "تسبولن درجابلن"، وتأسيس قواعده المنهجية عام 1902م مع السويسري "شارل بالي" تلميذ "دي سوسير"، ليتطور بعدها ويقوى طابعه الإجرائي بفضل جهود منظرين كبار أمثال جاكبسون وريفاتير.

وقد شهدت الأسلوبية انقساما نظريا بين أسلوبية التعبير عند "بالي" التي درست الخطاب الإنساني المطلق واللغة الشائعة التلقائية في وجهيها الفكري والعاطفي، وبين أسلوبية الخطاب الفني التي قصرت بحثها على النص الأدبي وحده، ويتأصل هذا البحث من خلال موضوع العلم وهو "الأسلوب" القائم على ثلاث ركائز تواصلية كبرى؛ أولها "المخاطِب" حيث الأسلوب انعكاس لملامح الفكر وشخصية المبدع، وثانيها "المخاطَب" المتلقي الذي يستقبل قيم التأثير والإمتاع والإثارة، وثالثها "الخطاب" الذي يوجه الباحث نحو النص ذاته كمخبر كيميائي تتفاعل فيه شحنات اللغة لتفجير طاقاتها التعبيرية الكامنة بمعزل عن المؤلف والقارئ.

المحاضرة الثانية: الأسلوبية التعبيرية

مدخل:

تمثل الأسلوبية التعبيرية المنطلق البكري واللبنة الأولى في مسار تشكل الدرس الأسلوبي الحديث، وهي الوريث الشرعي والامتداد المنهجي للطروحات اللسانية الوصفية التي فجرها العالم السويسري "فرديناند دي سوسير"، لقد جاءت هذه الأسلوبية لتبحث في الفجوات الفكرية التي تركتها اللسانيات البنيوية الصارمة، منتقلةً بالتحليل من مستويات النظام اللغوي المجرد (اللغة) إلى آليات الاستعمال الفعلي والحيوي (الكلام)، وينسب الكثير من العلماء والباحثين ظهور هذا التيار وعلمية قواعده إلى العالم السويسري "**شارل بالي**" تلميذ دي سوسير فـ"أغلب مؤرخي الأسلوبية يجمعون على أن شارل بالي هو من أصل عام 1902م لعلم الأسلوب وأسس قواعده النهائية"، وقد أفاد بالي بشكل معمق من ثنائيات أستاذه الشهيرة (خاصة ثنائية اللغة/الكلام، والدال/المدلول) كمادة غنية قابلة للدراسة والتطبيق التجريبي الميداني.

ولم تكن أسلوبيته مجرد اجترار للقواعد اللسانية، بل أسلوبية لغوية واصفة جاءت لتكمل وتحين ما صنعه أستاذه دي سوسير، وعرف منهجه المبتكر بـ"**الأسلوبية التعبيرية**"، وهي المقاربة التي آلت على نفسها كسر احتكار النخبوية الأدبية للقول، لتبحث في لغة جميع الناس وعموم المتكلمين دون تمييز.

أولا: تصنيفات اللغة ومستويات الخطاب عند بالي:

أدت النظرة اللغوية التعبيرية عند شارل بالي إلى وضع بعض التصنيفات المنهجية للغة وفق مستويات الخطاب وحسب طبيعة الحدث اللغوي وسياقاته التداولية اليومية (كلغة الفلاحين ولغة الأطباء)، ومن هذا المنطلق فرق بالي بين مستويين متداخلين في المنظومة اللغوية:

اللغة الأدبية: بما تحمله من أفكار منطقية خالصة وبنى عقلية مجردة.

اللغة العاطفية: بما تحمله من شحنات شعورية، وعواطف، ومشاعر جياشة.

موقف بالي من العمل الأدبي: إن العمل الأدبي في المنظور التعبيري لشارل بالي لا يعدو أن يكون ركيزة، أو وعاء، أو حجة إجرائية تتيح للباحث تحليل وقائع اللغة العاطفية التلقائية، وليس هدفاً نهائيا أو غاية في ذاته للتحليل الأسلوبي [1]، وذلك لأن الباحث في الأسلوبية التعبيرية يرى في آليات التعبير اللغوي طريقتين ومسارين:

الأولى: طريقة إبلاغيه تقريرية، لا يعني المتكلم فيها إلا إيصال الأفكار والمفاهيم للمتلقي بدقة عقلية جافة.

الثانية: طريقة تأثيرية وجدانية، تستند أساساً إلى محاولة التأثير في المتلقي واستمالة عاطفته، وقد ركز بالي كل جهوده العلمية على النوع الثاني (العاطفي التأثيري الكامن في اللغة العامة المشتركة) ولم يكن تجاهله أو إقصاؤه لتحليل النص الأدبي ناتجا عن التقليل من قيمته، بل لكونه يرى أن الإبداع الأدبي أمر معقد يخص "المنتج" (الأديب) وحده، لما يملكه من طاقات تعبيرية فردية ووعي جمالي حاد استطاع به تطويع الأداة اللغوية المشتركة للتعبير عن إحساسه وانفعالاته الذاتية الخاصة.

ثانيا: أسس الفكر الأسلوبي عند شارل بالي:

يستند فكر شارل بالي في دعوته وتأسيسه للأسلوبية التعبيرية على ركائز وأسس نظرية صلبة، يراها الباحثون المفتاح الحقيقي لفهم مقاصده ومنهجه، وأبرزها:

1- ذاتية الأسلوب وانعكاس الشخصية: ينظر بالي إلى مفهوم الأسلوب على أساس أنه جزء لا يتجزأ من شخصية المؤلف أو المتكلم، أو أنه تجسيد للمقولة الفلسفية القديمة "الأسلوب هو الإنسان عينه"، وبما أن الأسلوب يبقى طابعا ذاتيا دائما ومكملا لأبعاد الشخصية النفسية والوجدانية، فإن الأسلوبية التعبيرية تقوم أساسا بدراسة علاقات التفكير البشري مع الحدث اللساني المشخص[2].

2- طبيعة العلم ووصفية الوظيفة: إن هذا العلم لا يخرج أبدا عن إطار اللغة والحدث اللغوي، وبذلك فهو "يتناسب مع تعبير القدماء على أن اللغة هي المعبر في النفس أو

---

[1]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ص 29.

[2]- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 51 - 58.

المقدر في الذات"، وتنظر الأسلوبية التعبيرية إلى البنى التركيبية ووظائفها التأثيرية داخل النظام اللغوي العام، فهي أسلوبية **وصفية بامتياز ينصب كل اهتمامها على رصد الأثر**[1].

3- تحديد المجال اللغوي الأسلوبي: سمح هذا التصنيف الأولي لشارل بالي بتأطير حقل الأسلوبية وفصله عن النقد الأدبي الانطباعي، حيث ركز "على دراسة القيمة العاطفية للوقائع اللغوية المميزة، والعمل المتبادل للوقائع التي تساعد على تشكيل نظام وسائل التعبير في اللغة".

4- دراسة المضامين الوجدانية: تهتم أسلوبية بالي بوقائع التعبير اللغوي من جهة مضامينها الوجدانية والنفسية، فهي تدرس آليات تعبير الوقائع الحساسة المعبر عنها لغويا، ونقصد بذلك الكيفية السلوكية المتبعة داخل النظام اللغوي للتعبير عما يعتمل في نفس المتكلم من خلجات وانفعالات[2].

ثالثا: مفهوم الحدث اللغوي وثنائية الخطاب:

يتجلى الجوهر النظري للأسلوبية التعبيرية عند بالي في تفريقه الإجرائي الحاسم بين نوعين من الخطاب والحدث اللغوي: تتجلى أبعاد الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي من خلال تفريقه المنهجي والحاسم بين نوعين من الخطاب ضمن ما يعرف ب**ثنائية الحدث اللغوي**، حيث يتأسس المظهر الأول على **الحدث اللغوي النفعي (أ)**، وهو خطاب يلتزم بالقوانين والقواعد اللغوية التزاما أشد، ويكون هدفه الأساسي هو الإبلاغ وتوصيل معلومات محددة للمتلقي، ويمثل هذا النمط المحور الحقيقي لأسلوبية بالي التعبيرية، أما المظهر الثاني فيتمثل في **الحدث اللغوي التأثيري (ب)**، وهو في أصله خطاب نفعي لكنه يأتي مشحونا ومستندا إلى قوة التأثير والعاطفة، وهو الجانب الذي لم تركز عليه الأسلوبية التعبيرية لبالي في دراساتها، وتبقى طريقة الكلام المنطوق مسقاة أيضا من عموم اللغة اللسانية التي يمارسها الفرد كجزء من لغته الخاصة، ووظيفة أدوات التعبير في هذا السياق تتحدد في كونها تبرز "المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية والاجتماعية والنفسية"

[1] – حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في شعر السياب، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2002م، ص 18.

[2] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 1993م، ص 64 – 71.

للمتكلمين، ومن خلال هذه الأدوات، تظهر أنواع التعابير عبر عمليات التواصل الاجتماعي اليومي في مستوياته ومقاماته المختلفة، سواء أكانت أحاديث عفوية أو نصوصا مختارة من واقع الحياة وهذا التداخل الاجتماعي الجمالي هو ما دفع شارل بالي لصياغة تعريفه الجامع والمشهور للأسلوبية قائلا: "إن الأسلوبية هي العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية".

إذن فالأسلوبية التعبيرية تتناول مستويات التعبير اللغوي حسب منتج الخطاب من جهة، وسياق المقام التداولي من جهة أخرى مع تضمين الأدوات اللغوية الموظفة في كل طريقة تعبير ولذلك قسم بالي الواقع اللغوي إلى مظهرين: مظهر حامل لذاته ومكتفٍ بحده اللفظي والمنطقي المعياري، ومظهر مشحون بالانفعالات الوجدانية والطاقات الذاتية[1].

رابعا: عزل اللغة الأدبية وسر إقصائها:

في هذه النقطة بالذات، افترق شارل بالي عن بقية الباحثين والأسلوبيين المعاصرين له؛ حيث ركّز جل دراساته وبحوثه على **اللغة الطبيعية التواصلية (لغة الحياة اليومية) وعزل اللغة الأدبية**، وهو بهذا التميز المنهجي يزاوج ويفرق في الآن نفسه بين لغتين تضمنهما قوله الشهير: "أنا لم أزعم قط أن لغة الوجدان لها وجود مستقل عن لغة العقل، وأن علم الأسلوب ينبغي أن يدرس الأولى ويدع الثانية، بل إنه يدرسهما معا في علاقتهما المتبادلة، ويبحث النمط من أنماط كل واحدة إلى الأخرى في تكوين نفسية هذا التعبير اللغوي"[2].

فهو عبر هذه المقولة التأسيسية يتتبع الاتصال العفوي والتلقائي باعتباره مستودعا لتعبيرات انفعالية ذات أبعاد تأثيرية كبرى، ومنه فإن الأسلوب عنده "يتجلى في مجموعة من الوحدات اللسانية التي تمارس التأثير المعين في مستعملها أو قارئها، ومن هنا يتمحور هدف الأسلوبية حول اكتشاف القيم المؤثرة ذات الطابع العاطفي"، أما لسبب إقصائه

---

[1]– نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 33.

[2]– صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، 58.

المتعمّد للغة الأدبية والنصوص الشعرية عن مشروعه الأسلوبي، وتركيزه الحصري على اللغة الاعتيادية الشائعة، فيعود إلى مبررين أساسيين.

1- العفوية والوعي القَبلي: إن اللغة الاعتيادية تتدفق عن غير وعي أو تصنع، فتأتي على لسان المتكلم عفوية وبسيطة كبنى لسانية محملة بالتعبير الوجداني الفطري، مما يسهل رصد قيمها العاطفية الصافية.

2- الفردية والتفنن الانعزالي: إن النص الأدبي يمثل تجربة فردية تخص شخصا بعينه (الأديب أو الشاعر)، اللذين يتفننان بطرق انفرادية واعية في تفجير طاقات اللغة وشحنها بجماليات معقدة تخرج بها عن سنن الاستعمال اللغوي المشترك بين الجماعة اللغوية.

خامسا: تطور الأسلوبية التعبيرية بعد شارل بالي:

بعد رحيل شارل بالي، شهد مفهوم الأسلوبية التعبيرية مراجعات نقدية وتطورات جوهرية، إذ ضاق الباحثون بمسألة عزل الأدب، وتجاوزوا هذا المنعطف ليعاد توجيه الدرس الأسلوبي نحو النوع الثاني من الخطاب وهو **الخطاب التأثيري الأدبي والشعري**، هذا التحول المنهجي الكبير نقل الأسلوبية خطوة هامة من ميدان اللغويات الصرفة والتوصيف اللساني الجاف، ليدخلها في صميم ميدان **النقد الأدبي وتحليل النصوص**.

1- مرحلة تاسيس العلم: جاء بعد بالي باحثون كبار أبرزهم **"ماروزو"** و"كراسو" حيث نادى كل منهما بشرعية الأسلوبية الأدبية، واعتبروها علما مستقلا له مقوماته المعرفية، وأدواته الإجرائية، وموضوعه المحدد[1].

2- مرحلة الدعم والتنظير العالمي: تدعم هذا الاتجاه الجديد وتوطد مع جهابذة النقد واللسانيات الحديثة، أمثال: رومان جاكبسون، وميشال ريفاتير، وستيفن أولمان، ودي لوفر، وباختين، وهنريش بليث، وسواهم من الذين رسخوا فكرة "أدبية النص".

[1] – المرجع السابق، ص 58.

انتقادات تلامذة بالي وتولّد الأسلوبية النفسية:

على الرغم من ريادة بالي، إلا أن بعض تلامذته والمقربين منه وجهوا له انتقادات علمية، لكونه حصر أسلوبيته في دراسة "الكلام" (الاستعمال الفردي العفوي) دون "اللغة" كنظام عام يتيح للأديب الاختيار، هذا الانتقاد دفعهم لتجاوز الأطر الضيقة والبحث في جماليات النص الأدبي الغني، فاستقصوا الأدوات اللسانية الكفيلة التي يحتاجها المبدع للإفصاح عن أحاسيسه العميقة.

وهنا تحولت مهمة الأسلوبي من مجرد راصد للغة الشارع العاطفية، إلى مستكشف يبحث عن الأدوات الاستبدالية والتركيبية التي يوظفها الكاتب لتحويل الخطاب من سياقه النفعي العادي إلى خطاب تأثيري جمالي ساحر، ومستفيدين من التطورات المتسارعة في العلوم الإنسانية الحديثة والنقد البنيوي، صاغوا تصورات جديدة ساهمت في بعث الدراسات الأدبية النصية وفق رؤى نفسية واجتماعية تساير العصر، وهو ما تمخض عنه لاحقا ولادة تيار أسلوبي جديد عرف بـ "**الأسلوبية النفسية** (Psychological Stylistics) "[1].

خلاصة:

أن **الأسلوبية التعبيرية** عند شارل بالي مثلت ثورة منهجية حقيقية نقلت الدرس اللغوي من رصد القواعد النحوية والمعيارية الجامدة إلى آليات "تداولية العاطفة" وشعرية الاستعمال اليومي، ورغم أن بالي حصر اهتمامه في اللغة المشتركة وعزل النص الأدبي خوفا من الفردية والتصنع، إلا أن مقاربته الوصفية كانت هي الجسر والمعبر الذي عبرت فوقه كل التيارات الأسلوبية اللاحقة.

إن أهمية أسلوبية بالي تكمن في صياغتها للأدوات الإجرائية الأولى (كالمضمون الوجداني، وقيم التأثير، وثنائية الفكري والعاطفي)، وهي الأدوات ذاتها التي طورها تلامذته والباحثون من بعده (كـ **ماروزو وريفاتير وجاكوبسون**) ليطوعوها في تحليل النص الأدبي والشعري، وعليه فالأسلوبية التعبيرية لم تمت بموت سياقها اللساني الصرف، بل ذابت وتكاملت في صميم المناهج النقدية الحديثة، لتظل شاهداً على أن اللغة –أياً كانت

[1] – المرجع السابق، ص58.

مستوياتها– ليست شفرات عقلية جافة، بل هي كائن حي ينبض بالانفعالات، ويتحرك بشحنات التأثير، ويتلون بمقامات التواصل الإنساني.

المحاضرة الثالثة: الأسلوبية البنيوية

مدخل:

إذا كانت الأسلوبية التعبيرية مع الرائد السويسري شارل بالي قد وقفت قسرا عند حدود "الكلام" العفوي المكتفي برصد الشحنات العاطفية والوجيب النفسي داخل جغرافيا اللغة المشتركة واليومية، فإن التطور الطبيعي والصيرورة المعرفية للدرس الأسلوبي استلزما حتما الانتقال الجذري نحو أفق "**الأسلوبية البنيوية**، وجاء هذا التيار النقدي الجديد ليتجاوز معضلة عزل اللغة الأدبية التي فرضها بالي، معيدا توجيه آليات الفحص الأسلوبي والتقصي اللساني نحو النتاج الأدبي والشعري في أصفى تجلياته، ولم يعد النص في هذا المنظور المعاصر يقرأ بوصفه مجرد انعكاس للمشاعر الذاتية أو السيرة النفسية للمؤلف، بل بوصفه "**نظاما بنيويا مغلقا**" مستقلا بذاته، تتفاعل في رحابه وحدات اللغة وعناصر التركيب تفاعلا كيميائيا دقيقا لتوليد الجمالية وتحقيق أقصى درجات التأثير في المتلقي.

إن الأسلوبية البنيوية تمثل في جوهرها نقطة الالتقاء الحقيقية والبرزخ المعرفي بين ثورة اللسانيات الوصفية السوسيرية من جهة، وميدان النقد الأدبي الحديث من جهة أخرى، ومن خلال هذا التمازج، تحول الأسلوب في منظورها الإجرائي من مجرد "تعبير عابر عن العاطفة" والانفعال الإنساني الفطري، إلى "**شبكة معقدة من العلاقات البنيوية** "المكتفية بذاتها والمتشابكة في مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، هذا التحول المنهجي جعل من النص الأدبي بنية متعالية لا تحتاج إلى تبريرات خارجية من خارج أسوارها، لتصبح "الأدبية" أو "الشعرية" نتاجا حتميا لانحراف البنية اللغوية وانزياحها عن السنن المعياري الشائع.

أولا: المرتكزات النظرية للاستيعاب البنيوي للنص:

تتأسس الأسلوبية البنيوية على منظومة من المفاهيم المفصلية التي تنقل التحليل من الانطباعية التأثرية إلى العلمية الوصفية، ومن أبرز هذه المرتكزات:

1- النص كبنية مغلقة: تنظر الأسلوبية البنيوية إلى النص الأدبي باعتباره بنية متكاملة ومكتفية بذاتها، حيث تذوب مقاصد المؤلف (المنتج) وتتراجع الأبعاد الخارجية، ليصبح الهدف الأسمى هو استنطاق العلاقات الداخلية القائمة بين الكلمات والتركيب[1].

2-الانزياح والخرق الأسلوبي: يعد الانزياح (أو العدول) الحجر الزاوية في هذا الاتجاه؛ فالأسلوب لا يتجلى في المطابقة المعيارية لقواعد النحو، بل في كيفية خرق الأديب للنظام اللغوي العام وتجاوزه لعفوية الكلام النفعي، لخلق "مفاجأة أسلوبية" تثير انتباه المتلقي[2].

3- تجاوز ثنائية الفكر والعاطفة: على النقيض من منهج بالي الذي شطر الواقع اللغوي إلى لغة عقل ولغة وجدان، ترى الأسلوبية البنيوية أن الخطاب الأدبي يدمج المظهرين في بنية تعبيرية واحدة، حيث يتحول الشكل اللغوي ذاته إلى مادة دالة وحاملة للمضمون الفكري والنفسي معا[3].

ثانيا: أثر التجاوز المنهجي لأطروحة شارل بالي:

تمثل الأسلوبية البنيوية رد فعل مباشر على المآخذ والعيوب التي رصدها تلامذة بالي والباحثون اللاحقون على أسلوبيته التعبيرية، ويمكن حصر هذا التجاوز في نقطتين هما:

1- إعادة الاعتبار للغة الأدبية: رفض البنيويون إقصاء النص الأدبي بحجة وعي المنتج أو فرادته، بل رأوا أن تفجير طاقات اللغة وتطويع الأدوات اللسانية داخل النص هو المختبر الحقيقي لقياس الطاقات التعبيرية الكامنة في المنظومة اللغوية.

2- الانتقال من "الكلام" إلى "نظام السنن": ركز بالي على "الكلام" المنطوق العفوي، بينما انطلقت الأسلوبية البنيوية نحو دراسة "اللغة" كشبكة من الخيارات الواعية المتاحة للأديب، حيث تصبح العملية الإبداعية عبارة عن انتقاء مقصود بين البدائل اللغوية لتحقيق أعلى درجات التأثير الجمالي.

---

[1]- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ص 42.

[2] - صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، القاهرة: دار الشروق، 1998م، ص 57 - 61 .

[3]- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط3، 1993م، ص 75.

ثالثا: مدارس الأسلوبية البنيوية وروادها:

تعددت الجهود النقدية التي ساهمت في مأسسة الأسلوبية البنيوية ومنحها مشروعيتها العلمية وإجراءاتها التطبيقية، وظهر ذلك من خلال مسارين تنظيريين:

1- مرحلة الشرعية والتأسيس: تزّعم هذه المرحلة اللغويان الفرنسيان "**ماروزو** " **(Marouzeau)** و"**كراسو(Cressot)** "، حيث نقلا البحث من وصف وقائع الحياة اليومية إلى فحص وقائع النص الفني، وناديا بشرعية الأسلوبية كعلم مستقل له مقوماته النظرية، وأدواته الإجرائية الخاصة، وموضوعه المحدد المتمثل في "**النص الجمالي**".

2- مرحلة الدعم والتوسيع الشعري: تدعم هذا التيار وترسخ عالميا عبر طروحات جهابذة البنيوية واللسانيات، وفي مقدمتهم **رومان جاكبسون (R. Jakobson)** عبر صياغته الشهيرة لـ "**الوظيفة الشعرية**"، و**ميشال ريفاتير (M. Riffaterre)** الذي ركز على استجابة "**القارئ المتلقي**" لشبكة العلاقات البنيوية داخل النص، بالإضافة إلى إسهامات "**ستيفن أولمان**، و **دي لوفر**، و **باختين**، و **هنريش بليث**".

رابعا: آليات التلقي وتفكيك الشفرات الجمالية:

في ظل الأسلوبية البنيوية، لم يعد المتلقي مجرد مستمع منفعل، بل أضحى عنصرا فاعلا في تفكيك شفرات الخطاب وتذوق جمالياته، فالنص الأدبي بنية مشحونة بأدوات التعبير التي تنقله من سياقه النفعي البلاغي الجاف إلى سياق تأثيري ممتع[1].

وتتحول مهمة الباحث الأسلوبي هنا إلى:

- **الاستقصاء والبحث:** تتبع الأدوات اللسانية والأسلوبية الموظفة داخل النص.
- **رصد الانفعالات:** تحليل كيفية استخدام الكاتب لتلك البنى والأدوات للتعبير عن أحاسيسه وانفعالاته ونقلها إلى المتلقي.

[1]- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، ص 57 - 61.

- **تفسير الأثر النفسي:** الاستعانة بالتطورات الحديثة في العلوم الإنسانية والنقد الأدبي لبعث الدراسات النصية وفق رؤى تساير العصر.

1-آليات المقاربة وتكامل مستويات التحليل البنيوي: تتأسس الأسلوبية البنيوية في ممارستها الإجرائية لتفكيك الخطاب على شبكة متكاملة من مستويات التحليل التي تتضافر معا لاستنطاق النص واستخلاف قيمته الجمالية، ويتجلى أول هذه المستويات في المستوى الصوتي، وهو الحقل الذي يعنى بدراسة الإيقاع، والجناس، والتناغم الصوتي المولد للأثر الموسيقي والجمالي في نفس المتلقي، ويليه المستوى التركيبي الذي ينصب اهتمامه على فحص تقديم وتأخير الجمل، وتتبع مظاهر العدول والانزياح عن سنن النحو المعياري السائد، وصولا إلى المستوى الدلالي، وهو المستوى الكفيل برصد الانزياح الأكبر، وتحليل الصور البيانية، واستكشاف ظاهرة تعدد المعاني وتناسل الدلالات داخل البنية النصية المغلقة[1].

خامسا: من البنيوية اللسانية إلى الأسلوبية النفسية:

أدى الانفتاح البنيوي على طاقات النص الأدبي، والاستفادة من النقد الحديث ومخرجات العلوم الإنسانية، إلى عدم الوقوف عند حدود التوصيف الشكلي الجاف للبنى اللغوية. فقد سعى الأسلوبيين إلى ربط هذه البنيات الداخلية المنظمة بحركية الوعي واللاشعور لمنتج النص.

التحول نحو الأسلوبية النفسية: إن رصد الأدوات الكفيلة التي يحتاجها الأديب للإفصاح عن إحساسه الخاص، وتتبع كيفية تحول الخطاب من طابعه النفعي المشترك إلى طابعه التأثيري الفردي، ساهم في إيجاد تلاحم بين شكل البنية وتجربة المبدع الداخلية هذا التطور المنهجي والنقدي أثمر لاحقا عن بروز تصور جديد في حقل الدراسات النصية أطلق عليه النقاد مصطلح "**الأسلوبية النفسية**"[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص 57 - 61.

[2]- حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في شعر السياب، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1.، 2002م، ص 24.

خلاصة:

لم تكن **الأسلوبية البنيوية** قطيعة تامة مع الأسلوبية التعبيرية لشارل بالي، بقدر ما كانت تقويما لمنهجها وتوسيعا لآفاقها الإجرائية، فبينما قدم بالي الأدوات الأولى لرصد قيم التأثير والعاطفة في لغة التواصل اليومي، أخذت الأسلوبية البنيوية هذه الأدوات وطبقتها على النص الأدبي والشعري بوصفه بنية لغوية عليا.

إن الأسلوبية البنيوية نجحت في صهر التوصيف اللساني الدقيق في بوتقة النقد الأدبي، جاعلة من النص مخبراً تتفاعل فيه البنى الصوتية والتركيبية والدلالية لتوليد الجمال، وممهدة الطريق لظهور تيارات أسلوبية وتداولية ونفسية لاحقة، أثبتت جميعها أن الأسلوب هو المعبر الحقيقي عن كينونة الإنسان وتجربته الوجودية من خلال نظام اللغة.

المحاضرة الرابعة: الأسلوبية الإحصائية

مدخل:

شهدت الدراسات الأسلوبية المعاصرة تحولا جذريا ومظهرا تطوريا ملحوظا مع انفتاحها الجسور على المناهج العلمية الحديثة ومخرجات العلوم الدقيقة، فلم تعد المقاربات الأسلوبية تقتصر على التوصيف الانطباعي الذاتي أو الأحكام التأثرية العفوية للظواهر الأدبية، بل اتجهت صوب توظيف أدوات إجرائية مادية وصارمة تساعد على تشريح النصوص واستنطاق مكنوناتها للكشف عن خصائصها الموضوعية، وفي هذا الفضاء المعرفي المتقاطع، برزت "**الأسلوبية الإحصائية**" بوصفها واحدا من أهم الاتجاهات الأسلوبية واللسانية الحديثة التي تستثمر المعطيات الرقمية، والعمليات الرياضية، والنسب المئوية في دراسة الخطاب الأدبي وتحليله، انطلاقا من مصادرة نظرية راسخة ترى أن الأسلوب لا يتجلى فقط في حدود المعاني العائمة والصور الفنية المجردة، بل يتجسم ماديا في نسب تكرار الوحدات اللغوية، وكثافة حضورها، وتوزيعها الهندسي داخل النسيج النصي.

ويعد البعد الإحصائي من أهم المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن للباحث بواسطتها رسم الملامح الهيكلية للأساليب، والتمييز الواعي بين السمات اللغوية التي تشكل خواصاً أسلوبية قارة، والسمات العادية التي ترد في النص ورودا عشوائيا عابرا ومن هنا اكتسبت هذه الدراسة أهمية بالغة باعتبارها نموذجا حيا للدقة العلمية، التي تضيق الخناق على ذاتية المحلل وتحول دون نفوذ أهوائه الانطباعية إلى جسد العمل الأدبي.

أولا: مفهوم الأسلوب والأسلوبية في الأفق الإحصائي:

1- مفهوم الأسلوب إحصائيا:

ينزاح مفهوم الأسلوب في الحقل الإحصائي عن التعريفات البلاغية والذاتية القديمة ليتحدد عبر بعدين إجرائيين:

- **الأسلوب عَدول ومفارقة:** ينظر إليه باعتباره انحرافاً أو انزياحاً كمياً عن نموذج لغوي آخر يُتخذ كمعيار مقاس (نموذج القول النمطي)، وبالمقارنة الإحصائية بين المعياري

والمفارق، يقع التمييز العلمي بين النصوص، شريطة تماثل المقام والسياق بينهما لجواز المقارنة، وهو عدول يمكن قياسه وحسابه كميا بدقة[1].

- **الأسلوب انتقاء واختيار:** هو عملية اصطفاء مقصودة يقوم بها المنشئ (الكاتب) لسمات لغوية تعبيرية محددة من بين قائمة البدائل والاحتمالات اللسانية الكثيرة المتوفرة في نظام اللغة[2]، ومجموع هذه الاختيارات المتكررة لكاتب معين هي التي تؤسس أسلوبه الخاص وتمنحه تمايزه عن الآخرين، وهو ما يصطلح على تسميته بـ "**البصمة الأسلوبية** "أو "**السمة الأسلوبية**[3].

2- مفهوم الأسلوبية الإحصائية:

تعرف الأسلوبية الإحصائية بأنها فرع تطبيقي من فروع الدراسات الأسلوبية، يمثل محاولة موضوعية مادية لوصف الأسلوب عبر المعالجة الكمية للظواهر اللغوية، ويتحقق ذلك من خلال رصد وإحصاء الوحدات اللغوية البارزة التي يمكن إدراكها شكليا في النص إحصاءً كميا، ثم إخضاع تلك البيانات للعمليات الرياضية والمعادلات الإحصائية لتقديم جداول وبيانات دقيقة ومحددة بالأرقام والنسب لسمة أو أكثر من السمات المهيمنة على النص الأدبي[4].

ثانيا: نشأة الأسلوبية الإحصائية وتطورها التاريخي:

ارتبط ظهور وتطور الأسلوبية الإحصائية ارتباطا وثيقا بالتطور الهائل الذي عرفته اللسانيات الحديثة والدراسات البنيوية والشعرية خلال القرن العشرين، فضلا عن استفادتها المباشرة من قفزات العلوم الرياضية والتقدم التكنولوجي في مجال الحاسوب والمعلوماتية[5]،

---

[1]- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص 112 - 128.

[2]- سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، القاهرة: دار عالم الكتب، ط3، 1992م، ص 23 - 47.

[3] - يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، مرجع سابق، ص 128.

[4] - بيير غيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: مركز الإنماء القومي، ط1، 1994م، ص 45.

[5] - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ص 54.

وقد مر هذا العلم بمراحل تأسيسية ساهمت في مأسسته وإرساء قواعده الكمية بفضل جهود ثلة من الأعلام والمنظرين الغربيين والعرب الذين أصلوا لهذا الاتجاه ومن أبرزهم:

جورج زيف: صاحب النظرية اللسانية الإحصائية الشهيرة العنونة(بالسلوك الإنساني ومبدأ أقل جهد)، والتي أسست لقوانين التكرار والتناسب بين طول الكلمات وترددها.

جوزيفين ميلز: في كتابها الأسلوبي التطبيقي، (عصور وأساليب في الشعر الإنجليزي).

جون بروز: الذي يعد من رواد إدخال التكنولوجيا في النقد عبر كتابه الحاسم (الحوسبة في النقد الأدبي).

سعد مصلوح: رائد الأسلوبية الإحصائية في العالم العربي بلا منازع، وصاحب الدراسات التأسيسية مثل كتاب الأسلوب: **دراسة لغوية إحصائية**، ودراسته التطبيقية العملاقة، في العمل الأدبي: **دراسة أسلوبية إحصائية**، حيث نقل المنهج إلى مدونات الشعر والنثر العربي القديم والحديث بنجاح باهر[1].

بيير غيرو: الذي قدم مساهمة بنيوية كمية رائدة في كتابه الفذ (الخصائص الإحصائية للمعجم)، واضعا القواعد الرياضية لقياس الثراء المعجمي للنصوص[2].

ثالثا: مرتكزات الأسلوبية الإحصائية ومجالات تطبيقها

تتأسس الأسلوبية الإحصائية في حركيتها المنهجية على أربعة مرتكزات نظرية صلبة تشكل فلسفتها العلمية.

التكرار: رصد التردد اللساني والوجداني الكثيف داخل بنيات النص، على اعتبار أن التكرار ليس أمرا اعتباطيا بل يكشف عن خصوصية أسلوبية.

---

[1] – سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص47.

[2] – بيير غيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، ص 45.

الموضوعية العلمية: نفي الأحكام الانطباعية والذاتية وإحلال المؤشرات الرقمية محلها للحد من تدخل المحلل[1].

المقارنة: موازنة النتائج الإحصائية بين النصوص، أو بين أساليب الكتاب والشعراء عند تماثل المقام.

القياس الكمي: تحويل السلوك اللساني والجمعي إلى أرقام ومعادلات ونسب مئوية قابلة للتحقق[2] .

وتتعدد مجالات تطبيق هذا المنهج لتشمل مستويات النص اللغوية شريطة أن تحظى هذه السمات بنسب عالية من التكرار وترتبط بالسياق لتتحول إلى "خواص أسلوبية"، ومن أبرز هذه المجالات.

المجال المعجمي والمفردات: دراسة التكرار المعجمي، وحساب استخدام مفردات معينة، ومتوسط طول الكلمات، واستخراج معامل التنوع المعجمي لتحديد درجة الثراء اللغوي وتحليل الحقول الدلالية المهيمنة.

المجال النحوي والتركيبي: إحصاء نوع الجمل (اسمية مقابل فعلية، بسيطة أو مركبة)، ونسبة الجمل القصيرة إلى الطويلة، ومتوسط طول الجملة، ودراسة الزيادة أو النقصان في صيغ معينة (صفات، حروف، أفعال، ظروف)

- **المجال البلاغي والأسلوبي:** تفضيل تشبيهات أو مجازات أو كنايات أو استعارات معينة، وحساب نسب حضور الأساليب الإنشائية والخبرية وتكرارها.
- **تحليل الإيقاع الشعري:** حساب الترددات الصوتية والموسيقية وتوزيع التفعيلات، والروي والقافية[3].

---

[1] – سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، مرجع سابق، ص ص 23– 47.

[2]– يوسف أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، ص 128.

[3]–– سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، مرجع سابق، ص 23– 47.

رابعا: آليات التحليل لاستخراج المؤشرات وتفسير الدلالة:

يقوم التحليل الإحصائي للأسلوب كمنهج تفاعلي يزاوج بين الأدب والرياضيات لاستخراج الخصائص الأسلوبية بطريقة رقمية عبر خمس خطوات إجرائية متتابعة.

1- تحديد الهدف من التحليل: ينطلق الباحث أولا بتحديد غايته بدقة هل يريد معرفة الخصائص الأسلوبية لكاتب معين؟ أم يهدف للمقارنة بين كاتبين؟ أم يبتغي التحقق من نسبة نص مجهول إلى مؤلفه الحقيقي؟ أم يدرس التطور التاريخي لأسلوب الكاتب عبر الزمن؟

2- إعداد النص ومكاشفته: وتشمل اختيار النص أو العينة من النصوص المستهدفة، ثم تقسيمها تقسيماً بنيوياً إلى وحدات صغرى وقابلة للعد (فقرات، كلمات، جمل، حروف).

3- استخراج المؤشرات الإحصائية: ويتم العمل هنا على تصنيف المؤشرات إلى أربعة مستويات رئيسية كالتالي:

مؤشرات الإيقاع: حساب عدد التفعيلات وتكرارها، الروي، القافية، التدوير، تكرار الأصوات، النبر، التنغيم، وطول الفواصل.

المؤشرات المعجمية: حساب عدد الكلمات الكلي، نسبة التكرار، عدد الكلمات المختلفة، ومتوسط طول الكلمة.

المؤشرات البلاغية: حساب تكرار الصور (تشبيه، استعارة، كناية) وتكرار الأساليب (نداء، أمر، نهي، استفهام، تعجب)[1].

المؤشرات التركيبية: رصد الجمل الاسمية مقابل الفعلية، عدد أدوات الربط، البناء للمعلوم والمجهول، والتقديم والتأخير والحذف[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص 23- 47..

[2]- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، ص 112 - 128.

4- تفسير النتائج واستنطاق الدلالة الأدبية:

وهي الخطوة الجوهرية التي يتم فيها **الربط بين الرقم والدلالة الأدبية الفنية،** فالرقم الإحصائي لا قيمة له إن لم يفسر نقديا، ومن نماذج الربط الدلالي ما يلي:

ارتفاع نسبة الجمل القصيرة: تدل أسلوبيا على حالة التوتر، أو القلق، أو تسارع الأحداث.

كثافة حضور الضمائر: تشير بوضوح إلى النزعة الذاتية وهيمنة الأنا على النص.

التنوع المعجمي العالي: يعكس الثراء اللغوي، والتمكن المعرفي، واستكشاف درجة اتساع ثقافة المبدع

تكرار الفعل بكثافة: يعطي النص إيقاعا تأكيديا حركيا متجددا.

كثرة تكرار الأسماء :يكشف عن طابع وصفي ثابت، يميل للهدوء والجمود.

خامسا: مزايا الأسلوبية الإحصائية وأهميتها في الدرس النقدي:

تكتسي الأسلوبية الإحصائية أهمية قصوى ومزايا فريدة تنقل البحث الأدبي إلى آفاق علمية جديدة، ويمكن حصر هذه الأهمية في النقاط الآتية:

الموضوعية وحسم الخلافات الأدبية: تساهم في حل مشكلات أدبية وتاريخية معقدة وعالقة، كالتحقق من شخصية المؤلف، وتوثيق نسبة النصوص المشكوك فيها، وتحديد الترتيب الزمني لكتابات مؤلف واحد عبر رصد تطور مؤشراته اللغوية.

تقديم مادة علمية دقيقة: فالإحصاء يقدم المادة النصية التي يدرسها الباحث تقديما رقميا مضبوطا لا يرقى إليه الشك، والدقة مطلب علمي أصيل في الدراسات الأكاديمية[1].

الكشف عن أنماط خفية وبصمة الكاتب: تتيح الأسلوبية الإحصائية الكشف التلقائي عن الأنماط والخصائص الكثيفة التي قد يصعب ملاحظتها بالقراءة العادية العفوية، واكتشاف

[1] – سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص 23 – 47.

"البصمة الأسلوبية" الثابتة للكاتب (مثل طول الجملة المفضلة، ونوع مفرداته، وكثافة أفعاله).

فهم البنية الداخلية وتماسك النص: يساعد حساب التكرار وكثافة التردد على تحديد الكلمات المحورية (الكلمات المفاتيح)، ومعرفة الحقول الدلالية المهيمنة على النص، وتحديد درجة ثرائه المعجمي.

سادسا: حدود ومحاذير التحليل الإحصائي للأدب:

على الرغم من الأهمية الكبرى والمكاسب المنهجية التي حققتها الأسلوبية الإحصائية، إلا أن كبار الباحثين والأسلوبيين يضعون جملة من المحاذير والحدود التي يجب على المحلل الأسلوبي الانتباه لها وعدم الإفراط في توظيف الآلة الرقمية دون وعي، وذلك للأسباب والعلل الآتية:

خطر السقوط في الغرفة اللغوية :إن الاعتماد الكلي والمفرط على الجانب الإحصائي قد يؤول بالباحث إلى التعامل مع الأدب بلغة رياضية جافة وغريبة عنه، خارجة تماماً عن طرق فهمه الفني وتذوقه الجمالي.

سيطرة الكم على الكيف (إهمال البعد الجمالي): يحمل العمل الإحصائي البحت خطر طغيان الأرقام والكم على حساب الكيف والجودة، مما يفقد الدراسة الأسلوبية هدفها الأسمى، وهو إهمال ونبذ البعد الجمالي والشعري للنص الأدبي.

عجز الرقم أمام المسائل الغامضة والنسبية: هناك ظواهر أسلوبية معقدة وهلامية داخل الخطاب، كالنغمات العاطفية المتقلبة، والإيقاع المركب، والظلال الإيحائية للكلمات، وهي مسائل نسبية لا تنقاد مطلقا للدقة الإحصائية الجامدة.

إسقاط وتهميش الجانب السياقي: قد يرمي التحليل الإحصائي بتقنية الرقم للنص الجانب السياقي والمقامي عرض الحائط، في حين يعد السياق والظروف المحيطة بإنتاج الخطاب مطلباً رئيساً لا غنى عنه في أي تحليل أسلوبي متكامل

إهمال القارئ واستجابته الذاتية :يركز الإحصاء الرياضي على النص باعتباره بنية لغوية صماء مرصوفة وقابلة للعد، بينما يهمل تماماً تأثير النص في المتلقي، وتجربته الجمالية الحية، وتفاعله الشعوري مع النص[1].

خلاصة:

أن الأسلوبية الإحصائية تمثل نقلة نوعية وجريئة في مسار الدرس الأسلوبي المعاصر، إذ نجحت في نقل النقد الأدبي من فضاء الانطباعات العائمة والأحكام الذاتية إلى فضاء المقاييس الكمية القابلة للتحقق والقياس المادي، وقد منحت هذه المقاربة الباحثين أداة صارمة لتحديد "البصمة الأسلوبية" وفض النزاعات التاريخية حول نسبة النصوص وتوثيقها بدقة تامة.

ومع ذلك، فإن الفاعلية الحقيقية والنجاعة المنهجية للأسلوبية الإحصائية لا تتحقق أبدا بالاكتفاء برصد الأرقام واستعراض النسب المئوية المجرّدة؛ فالرقم في حد ذاته أعمى لا يملك لغة داخل النص الأدبي إلا إذا نفخ فيه من روح النقد الأدبي والتفسير الدلالي البلاغي، وعليه فإن الممارسة الأسلوبية المثلى تكمن في إحداث تكامل معرفي خلاق بين دقة التحليل الإحصائي الكمي ورحابة القراءة الأدبية الكيفية، بحيث تُتخذ الأرقام والمؤشرات الرياضية كقاعدة انطلاق موضوعية، يعقبها تحليل نقدي يستكشف الأبعاد الجمالية، والظلال الإيحائية، والطاقات التعبيرية الكامنة في صميم الإبداع الإنساني، وبذلك نجمع بين علمية المنهج وشاعرية النص الأدبي.

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ص 54.

المحاضرة الخامسة: الأسلوبية النفسية (التكوينية)

مدخل:

قامت **الأسلوبية النفسية (التكوينية)** كتيار نقدي ومنهجي بارز على يد الأسلوبي اللغوي الألماني "**ليو سبيتزر**"، وهو الاتجاه الذي عرف في الأوساط النقدية بمسميات عدة تعكس منطلقاته الفلسفية، منها: الأسلوبية الفردية، والأسلوبية المثالية، والأسلوبية الألمانية . وقد تأسس هذا المنهج كشكل من أشكال المراجعة النقدية العميقة للأسلوبيات السابقة، إذ أدرك "سبيتزر" مبكرا النقائص الهيكلية والهنات المنهجية التي وقعت فيها أسلوبية شارل بالي التعبيرية، لاسيما بعد أن تعمد بالي إقصاء أدبية النص وجماليته من بؤرة اهتمامه، مركزا فحسب على لغة الحياة اليومية المشتركة.

ومن هذا المنطلق سعى "سبيتزر" إلى إيجاد مقاربة توفيقية، فربط بين العمل الأدبي واللسانيات العامة للوصول إلى حقيقة الآثار الأدبية من خلال إبراز المكونات اللسانية والجمالية له، وهي المكونات التي يرى أنها تكون مخرنة ومكتنزة في باطن النص الأدبي، ولا يمكن اكتشافها ومعاينتها إلا بواسطة شبكة مخصوصة من الإجراءات والمبادئ المنهجية.

أولا: المرتكزات الإجرائية لخطوات التحليل عند ليو سبيتزر:

يقوم التقصي الأسلوبي في المدرسة التكوينية على جملة من المبادئ والخطوات التحليلية الصارمة التي تبني علاقة فريدة بين الباحث والمدونة الأدبية، ويمكن تلخيص هذه الخطوات فيما يأتي:

الاكتفاء بالعمل الأدبي كنقطة انطلاق: يرى "سبيتزر" أن نقطة البدء الحقيقية في أي بحث أسلوبي رصين يجب أن تكون هي العمل الأدبي نفسه، ممتنعا عن تبني أية فكرة قبلية أو إسقاطات إيديولوجية أو تاريخية تقع خارج هذا العمل، فالنص الأدبي عنده نص لغوي قائم بذاته، يبني عالمه الخاص ومكتفٍ بأسواره، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون مجرد صورة انعكاسية لأي شيء يقع قبله أو بعده.

الربط العضوي بين اللسانيات وتاريخ الأدب: يتخذ البحث الأسلوبي عند "سبيتزر" موقعا وسيطا ورابطا حيويا يجمع بين معطيات اللسانيات الوصفية وحقائق تاريخ الأدب، ذلك أن معالجة النص في ذاته وبنيته الداخلية كفيلة بأن تكشف بصفة غير مباشرة عن ظروف صاحبه المحيطة به، فالنص يفضحه من حيث لا يحتسب، ويبين عن خارجه ومحيطه، وبالتالي فإن حركية العمل الأسلوبي تنطلق وجوبا من داخل النص في حد ذاته، ثم تنعطف لتخرج خارجه بحثا عن الدلالات الممكنة، شريطة أن تظل تلك الدلالات الخارجية مشدودة ومربوطة بالسياق النصي والمقامي الذي أنتجها ابتداء[1].

الأسلوب كانزياح شخصي فريد: تتحدد الخصوصية الأسلوبية في نهاية المطاف بوصفها انزياحا شخصيا فذا، يختلف به الأديب عن الاستعمال التداولي العادي والشائع للغة والمواعد التعبيرية، فالأدوات اللسانية تكتسب قيمتها من سياقها الفني الفريد، إذ "لا يمكن لأي تركيبة لغوية تحمل طابعا أسلوبيا أو قيمة نصية في خطاب معين أن تحتفظ بهذا المدى الأسلوبي نفسه أينما أتت ومهما كان الخطاب الأدبي الذي تأتي فيه"، ومن هنا يحقق النص فرادته، لأن الخروج عن المعيار المتحكم في بناء النص، والمنظم لعناصره ووحداته الصغرى وفي هيكليته الكبرى، يكون طوع بنان الكاتب وبيده وحده[2].

اللغة كمرآة عاكسة للذات المبدعة: بناء على فرضية الانزياح الفردي، تصبح اللغة مرآة تعكس شخصية الكاتب أو المبدع بكل تموجاتها؛ لكنها مثل غيرها من وسائل التعبير البشري تكون خاضعة بالكامل لسلطة هذا الكاتب ولعقليته وتوجهه الفكري الخاص، ولهذا السبب كثيرا ما ربط هذا المفهوم بعبارة الطبيعي الفرنسي بيفون الشهيرة "الأسلوب هو الرجل نفسه"، بمعنى أن لكل متكلم أو أديب طريقته الخاصة في صوغ العبارة ورؤيته الوجودية التي يذود عنها[3].

---

[1]– بيار غيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ط2، 2008م، ص 73 وما بعدها.

[2]– جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة: بسام بركة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 22.

[3] – هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص، ترجمة: محمد العمري، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1999م، ص 52.

ثانيا: الأبعاد النفسية والتعاطفية في تفكيك الخطاب:

لا تتوقف الأسلوبية التكوينية عند حدود التشريح اللساني البارد للبنى الشكلية، بل تمد جسورا إنسانية ونفسية بين ذات المحلل وذات المبدع عبر المرتكزات الآتية:

1- الفكر الذاتي كعنصر منظم للبنية: تؤمن هذه المدرسة بأن مبدأ العمل الأدبي ومحركه الأول هو فكر صاحبه وعقليته الجوانية، وليس أي شرط مادي أو اقتصادي أو سوسيولوجي خارجي، وبالتالي فإن فكر الكاتب يمثل في الأسلوبية التكوينية العنصر الديناميكي المنظم للعمل الأدبي من الداخل، وهو المسؤول عن توجيه الخيارات اللسانية[1].

2- اصطناع الحدس والنقد التعاطفي: يفترض "سبيتزر" أنه لا يمكن بلوغ الحقيقة العميقة والجوهرية للعمل الأدبي بدون نوع من "التعاطف الوجداني" مع صاحبه؛ فالأسلوبية في اصطناعها للحدس الرياضي وعملها التحليلي والتركيبي لانطباعاتها النصية تتحول في جوهرها إلى "**نقد تعاطفي** "حميمي لا غنى عنه لفهم بواطن الإبداع ومقاصده الخفية.

ثالثا: حركية الدائرة الفيلولوجية (الذهاب والإياب):

تتجلى خصوصية المقاربة السبيتزرية في كيفية النفاذ إلى الثقل الدلالي للنصوص عبر تجاوز القوالب المنهجية الجاهزة، وهو ما يمكن توضيحه من خلال النقاط التالية:

حركة الارتداد المنهجي وتأسيس الألفة النصية: تتجلى آلية **الدائرة الفيلولوجية** عند "ليو سبيتزر" كإجراء حركي متواصل يتجاوز السكونية المنهجية، حيث تنطلق المقاربة من **سطح النص** المتمثل في رصد البنى اللسانية والظواهر الأسلوبية الشاخصة، لتعبر مباشرة عبر حركة استنطاقية نحو **العمق الدلالي** الذي يكتنز فكر المبدع وروحه الجوانية، ولا تقف العملية عند هذا النفاذ العميق، بل ترتد في حركة عكسية متبادلة ومستمرة بين السطح والعمق، وهي الحركة الارتدادية الكفيلة بتوليد حالة من **الألفة والتضامن الحميمي مع النص**، إذ يغدو التلقي من خلال هذه الدائرة الفسيولوجية قراءة تعاطفية واعية تفك شفرات الأداة اللغوية دون أن تُفقد النص شعريته أو تصادر خصوصيته الفنية.

---

[1] – المرجع السابق، ص52.

رحلة الصعود والهبوط في النص: لا يمكن بحال من الأحوال الوصول إلى حقيقة العمل الأدبي وثقله الدلالي والجمالي إلا عن طريق إقامة نوع من الألفة والتضامن المتين بين العمل الأدبي ومتلقيه في كليته، وتتحقق هذه الألفة إجرائيا عبر ما يعرف بـ"**الدائرة الفيلولوجية**"، القائمة على عملية الذهاب والإياب المتكرر من سطح النص الظاهري (بنيته اللفظية) إلى عمقه الدلالي (روحه وفكره) الذي يفصح عن نفسه للمتلقي كلما اقترب منه في حميمية وتجرد.

مقاومة النص للمناهج القسرية الجاهزة: يحذر "سبيتزر" من مغبة المجيء بقوالب منهجية صارمة وجافة وتطبيقها قسرا واعتسافا على النص الأدبي، فالنص الإبداعي يمتاز عادة بالتعنت، وعدم الرضوخ بسهولة لآلات التشريح، والممانعة ضد الأنماط الجاهزة، وإذا ما أكره النص على الخضوع لقالب خارجي، فإنه سيفقد حتما جماليته وشاعريته، وهو ما قد يدفع الباحثين قاصري الرؤية إلى الحكم عليه خطأ بالسذاجة، والبساطة، والسطحية التعبيرية[1].

رابعا: طموح التوفيق المنهجي ومزالق الذاتية:

لقد أراد أصحاب المدرسة التكوينية الألمانية، وعلى رأسهم ليو سبيتزر، أن يزاوجوا مزاوجة خلاقة بين ما جاءت به اللسانيات السوسيرية الحديثة من صرامة منهجية ودقة واصفة، وبين طبيعة الخطابات الأدبية المتفلتة، وكان طموحهم ينصب على إيجاد سبيل تحليلي لا يتعارض مع دقة المبادئ اللسانية، وفي الوقت ذاته يفسح المجال للمزج العضوي بين الأسلوبيات والدراسة اللسانية والنقد الأدبي[2].

وقد نجح هذا الاتجاه في الكثير من محطاته بالانتهاء إلى "**الربط بين الدراسة الأسلوبية والدراسة الأدبية ربطاً شبه عضوي**" لا انفصام فيه غير أن هذا المنهج وبالرغم من طموحه العلمي، لم يسلم من الوقوع في بعض المزالق المنهجية العميقة، إذ رأى فيه الباحثون والمنظرون اللاحقون عجزا واضحا يبعد الدراسة الأسلوبية عن المعالجة العلمية الكلية والموضوعية، نظرا لتعويله المفرط على "الحدس" والتعاطف الذاتي، هذا الاعتماد

---

[1]– عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 150 – 151.

[2]– بيار غيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، ص 73.

على الوجدان جعل الأسلوبية التكوينية تسقط بالضرورة في شرك **الذاتية والانطباعية الجديدة**، وهو الأمر الذي جعل عمل الأسلوبي هنا يفتقر في كثير من الأحيان إلى الكلية المنهجية العلمية الدقيقة والخطوات الصارمة القابلة للتكرار والقياس المخبري الثابت[1].

خلاصة:

أن **الأسلوبية التكوينية** مثلت ثورة إنسانية وجمالية داخل الدرس الأسلوبي، حمت النص الأدبي من الجفاف الإجرائي الذي كادت أن توقعه فيه اللسانيات البنيوية الصارمة أو التعبيرية المستبعدة للأدب، فمن خلال أطروحة "ليو سبيتزر"، استعاد المبدع مكانه داخل النص عبر فكرة أن الأسلوب هو التجلي اللساني لفكر صاحبه وروحه.

وعلى الرغم من المآخذ التي وُجهت إليها بخصوص غياب الصرامة العلمية والميل نحو الذاتية والحدس، إلا أن الأسلوبية التكوينية تظل صاحبة الفضل في إرساء فكرة الألفة الحميمية مع النص، ورفض إكراه الإبداع داخل القوالب المنهجية الجاهزة، وبذلك أثبتت أن النص الأدبي كائن حي يتنفس، يحتاج من المحلل كفاءة لسانية لفك شفراته السطحية، وكفاءة حدسية تعاطفية للنفاذ إلى روحه وعمقه الدلالي الكامن.

[1] – جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 67.

المحاضرة السادسة

الأسلوبية التوزيعية

مدخل:

تقوم الأسلوبيات في مفهومها المعرفي المستقر على أطروحة مخالفة المعيار ومجاوزة القانون اللغوي النمطي، ولذلك عدت إحدى أهم المناهج النقدية التي استطاعت كفاءة مواكبة ما يطرأ على الخطاب الأدبي من تحولات وتبدلات بنيوية، لكونها تقف بوعي عند منطقة التمايز بين "الواجب والممكن"، أو بين "اللغة والخطاب"، وفي هذا السياق يعرف "بيير غيرو" الأسلوبية بأنها:" **دراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي، وتحديد الحريات داخل النظام نفسه**"[1].

ونعني بالمتغيرات هنا تلك المجموعة من السمات والوحدات اللغوية التي يعمل فيها المنشئ (المبدع) بآليتي الاختيار أو الاستبعاد، وبالتكثيف أو الخلخلة، متبعا طرقا وسياقات مختلفة في "**التوزيع** "ليشكل بها نسيجه النصي الفريد وحينئذٍ تتحول هذه المتغيرات الأسلوبية إلى خصائص مميزة داخل البنية، ومن ثم ينبغي للمحلل التمييز الدقيق بين مفهومين:

التغيير الأسلوبي: وهو مادة غُفل ومتاحة من جهة الإمكان العقلي واللساني أمام جميع المنشئين على حد سواء.

الخاصية الأسلوبية: هي النتيجة الفعلية لتحويل المتغير الأسلوبي (الذي هو خاصية بالقوة) عبر ممارسة الكتابة إلى مظهر جمالي مهيمن داخل النص (خاصية بالفعل).

إن هذا التمييز الإجرائي يضع البحث الأسلوبي بين عالمين متقابلين: عالم الممكن وتمثله معقولية اللغة وقواعديتها الافتراضية، وعالم ما كان فعلا وتمثله الممارسة الإنجازية الواقعية بواسطة الكلام المنظم الذي ندعوه خطابا أو نصا[2].

---

[1]– بيير غيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، حلب: مركز الإنماء الحضاري، ط2، 2008م، ص 53.

[2]– سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، القاهرة: دار عالم الكتب، ص 33.

أولا: الجذور المعرفية للمدرسة التوزيعية الأمريكية:

شهدت الساحة اللسانية في مطلع القرن العشرين مخاضا علميا أدى إلى ظهور الدراسات التوزيعية للغة، والتي جاءت كامتداد طبيعي للدرس اللساني الغربي عند فرديناند دي سوسير من جهة، وتجاوزا ومثاقفة للطرح الأوروبي من جهة أخرى، بغية إيجاد بديل لساني أمريكي خالص يناسب البيئة المعرفية الجديدة[1]، وقد تأسس هذا البديل عبر محطتين رائدتين هما:

1- الإسهام النظري والأنثربولوجي عند إدوارد سابير(Edward Sapir) :

تجلت ملامح التأسيس في أطروحات "سابير" لاسيما في كتابه العمدة (اللغة) الصادر سنة 1921م، وما أبان عنه من دقة وصفية صارمة، سواء تعلق الأمر بحدود المفهوم، أم بالجانب الشكلي والرياضي للغة، إذ يرى "سابير" أن هناك حقيقة كثيرا ما حادت بالحيلولة دون الاعتراف بكون اللغة نظاما اصطلاحيا يتكون من علامات صوتية، مما أغرى الفكر العام بإسناد أصل غريزي للغة لا تختص به في حقيقة الأمر...وبذلك باعد "سابير" بين المفهوم العلمي الرصين والمفهوم الشائع آنذاك، معتبرا إسناد اللغة للغريزة طرحا غوغائيا يفتقر إلى السند العلمي، ودافع في المقابل عن رؤية تنظر للغة بوصفها نظاما من الرموز والإشارات التي تمثلها الأصوات في أبسط صورها، ولم يقف عند هذا التجاوز للمقولات السطحية، بل طرح فكرة ارتباط اللغة بالثقافة، معتبرا اللغة كيانا محملا ثقافيا، ووظيفتها ليست غريزية بل هي وظيفة ثقافية مكتسبة، كما ركز "سابير" على قضية الشكل اللغوي والبنية القاعدية بعد دراسته للمسائل الصوتية، ملحا على أن الحقيقة اللغوية الجوهرية تتمثل في التفريع والتشجير الشكلي للتصورات، فاللغة بنية تتجسد مادتها في الشكل الخارجي عبر الأصوات وتدرس وظيفيا، مع وجوب التمييز بين الصيغ التي تستخدمها اللغة في عملياتها

[1]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، الدار البيضاء: دار أبحاث للترجمة والنشر، 2004م، ص 33 وما بعدها.

النحوية، وتوزيع هذه التصورات بالنسبة للتعبيرات المختلفة في نماذج "صوتية شكلية" مخصوصة[1].

2- التأسيس المنهجي عند ليونارد بلومفيلد(Leonard Bloomfield) :

نشر "بلومفيلد" في عام 1933م كتابه التأسيسي الذي حمل العنوان نفسه (اللغة) عارضا فيه الجانب الآخر من النظرية البنيوية المتماسكة، ويعتبر "سابير" و"بلومفيلد زعيمي" المدرسة الأمريكية بلا منازع، وإن كان "بلومفيلد" أكثر تأثيرا في مسار اللسانيات التوزيعية اللاحقة وأفضل تمثيلا لها، إذ تخرجت على يديه أجيال من الباحثين، حتى اعتبر كتابه أهم دراسة منهجية للغة في القرن العشرين، وقد تحددت البنيوية التوزيعية الأمريكية تاريخياً بعاملين أساسيين:

الهدف العملي الميداني: ضرورة دراسة لغات الهنود الحمر وثقافاتهم المحلية التي لم تكن مبحوثة أو مدونة آنذاك، مما فرض منهجاً وصفياً عاجلا.

البديهيات العلمية للمدرسة السلوكية: اتخاذ علم النفس السلوكي كإطار مرجعي لتفسير الظاهرة اللغوية[2].

ثانيا: الريادة اللغوية لزيلغ هاريس وتحولات المدرسة التوزيعية الأمريكية:

تأسست النظرية التوزيعية كمنهج لغوي بنيوي متكامل الأدوات على يد اللساني الأمريكي من أصل روسي **زيلغ سابيتي هاريس**(1909-1992م) الذي تلقى تعليمه العالي بجامعة بنسلفانيا، ونال منها شهادتي الماجستير في الأدب (1932م) والدكتوراه حول قواعد اللغة الفينيقية (1934م)، واستقر بها مدرسا، حيث التقى بتلميذه **نوام تشومسكي**، وقد طرح هاريس معالم مدرسته التوزيعية الجديدة متميزا عن طروحات أستاذه ومثله الأعلى "بلومفيلد" في كتابه العمدة **مناهج في اللسانيات البنيوية**، ثم أحدث نقطة تحول كبرى عام 1952م بنشر مقاله الشهير حول "**التحليل التحويلي والتوليدي للخطاب** "مستخدما الرموز الرياضية

---

[1]- إدوارد سابير، اللغة: مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة: المنصف عاشور، ج1، تونس: الدار العربية للكتاب، 1997م، ص 16 - 123.

[2]- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 33 وما بعدها.

لتفكيك البنى اللسانية ويجمع مؤرخو اللسانيات على أن هذا المقال شكل البذرة المعرفية الأولى لنظرية النحو التوليدي التحويلي، التي طوّرها تلميذه تشومسكي لاحقا حتى طغت آراؤه ونسبت النظرية إليه في نهاية المطاف، ويرى بعض الدارسين أن هاريس لم يكن لينشر هذا المقال لولا إحساسه الداخلي بأن منهجه التوزيعي الكلاسيكي لا يكفي لحل الكثير من قضايا التركيب اللغوي المعقدة، فعمد إلى تعديل الفكرة بطرح مفهوم التحويل[1].

إشكالية المعنى بين التجريد النظري والإجراء التطبيقي: يعكس المخطط الهيكلي التنازع المنهجي الذي ميز المدرسة التوزيعية في تعاملها مع معطى "المعنى"، حيث انقسم موقفها إلى مستويين متقابلين:

الموقف النظري التجريدي (بلومفيلد): يتأسس على ضرورة استبعاد المعنى كليا من دائرة التحليل اللساني المباشر، انطلاقا من فرضية سلوكية ترى أن المعنى هدف هلامي بعيد المنال، ويجب إقصاؤه لتجنب السقوط في المتاهات الذاتية والتقديرات الانطباعية التي تبعد الدراسة عن دقتها العلمية المادية.

الموقف الإجرائي التطبيقي (هاريس): يتجلى عند الانتقال إلى الممارسة التحليلية الواقعية للنصوص والجمل، حيث يفرض الواقع اللغوي الاعتراف الصريح بالعلائق الوثيقة والروابط المتينة القائمة بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم من جهة، وكيفية هندسة وتوزيع المور فيمات والوحدات الصرفية داخل البنية التركيبية من جهة أخرى تأثرا "ببلومفيلد" انطلق هاريس نظريا من فكرة أن المعنى ليس عنصرا رئيسا في تقسيم الجمل وتوزيع مفرداتها، فالمعنى في العرف السلوكي التوزيعي بهدف بعيد المنال ينبغي للباحث الانصراف عنه للتركيز على الشكل الظاهري الملموس، بيد أنه عند التطبيق الإجرائي وجد "هاريس" نفسه مضطرا للحديث عن تلك العلاقة الوثيقة التي تربط بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم من جهة، والمور فيمات والتركيب الجمالي الذي تنتظم فيه هذه المور فيمات انتظاما توزيعيا وسياقاي من جهة أخرى.

[1] – المرجع السابق، ص 34 وما بعدها.

ثالثاً: المقدمات النظرية للتوزيعية ومثاقفتها للأصول السوسيرية:

ليس من العسير على الباحث أن يكتشف أن المقدمات النظرية للمدرسة التوزيعية قائمة في جوهرها على المبادئ التي صاغها العلامة السويسري "فرديناند دي سوسير"، وتتجلى هذه المثاقبة في نقاط محددة أضفى عليها التوزيعيون صبغتهم الخاصة المتميزة.

اللغة مقابل الحديث: جعل التوزيعيون موضوع دراستهم هو "اللغة" في مقابل "الحديث الفردي"، وغالبا ما أطلقوا على اللغة لفظ "**القانون**"، أي النظام الكلي الصارم الذي يحكم عملية الاستعمال الفردي العفوي (الكلام)، وهي تسمية ذات صدى عملي ملموس تؤكد أطروحة "سوسير" السابقة بأن موضوع اللسانيات الأوحد هو اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها[1].

منهج الآنية السكونية: اتسم الدرس التوزيعي بالآنية الوصفية الصارمة، لكون التوزيعيين واجهوا في بداياتهم لغات الهنود الحمر، وهي لغات منعدمة الكتابة وماضيها التاريخي مجهول تماما، والآنية هنا هي المنهج الوصفي الذي نادى به سوسير، مؤكدا أن دراسة اللغة في لحظة زمنية محددة وثابتة كفيلة بإعطاء نتائج علمية مضمونة، قبل الانتقال للدراسة التاريخية (Diachronie) عبر الامتداد الزمني[2].

تقطيع الوحدات (المورفيم والعلامة): تنطلق التوزيعية من أن اللغة تتألف من وحدات متفاصلة تفرزها عملية التقطيع البنيوي. بينما قدم سوسير رؤية نظرية شاملة حول العلامة وطبيعتها النفسية (دال ومدلول)، اتجه التوزيعيون نحو معالجة شديدة الضبط ركزت على إبراز "**المورفيم (Morpheme)** "كوحدة صرفية شكلية دنيا تفيد دلالة يفردها التحليل. فالنقاشات حول المورفيم عندهم ترجع إلى قضايا تخص الشكل الخارجي، والمعنى لا يُدرك موقعه إلا من خلال معاينة أوجه التماثل وأوجه التباين الدلالية الناتجة عن العلاقات الشكليّة.

---

[1]– المرجع السابق، ص 41–42.

[2]– فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2006م، ص 120 وما بعدها.

نظام العلاقات والقيمة اللغوية: تؤمن التوزيعية بأن كل لغة تؤلف نظاما مخصوصا ومستقلا (وهو ما يقابل اعتباطية العلامة عند سوسير)، فموضع الكلمة في البنية محدد شبكيا بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى، ومن هذه العلاقات تنشأ "قيمة" الكلمة، إن العناصر تتحدد بعلاقاتها داخل التركيب الواحد، وهو ما سماه سوسير" بـ**العلاقات الركنية أو السياقية** "التي تجمع بين عناصر الجملة الواحدة حيث تستدعي كل وحدة الوحدة الأخرى لتشكل سياقا ذا دلالة[1].

إن عملية التوزيع السليم الذي تأخذ فيه الكلمة قيمتها، وبناء علاقات منطقية ولغوية مع جاراتها في السياق، هي التي تصل بنا في النهاية إلى المعنى السليم، ولتوضيح هذا التوزيع النظامي في اللغات، نضرب مثالا من اللسان العربي، حيث تتوزع الجمل وفق نظامين كليين هما:

الجملة الاسمية: ويتصدرها اسم وبنيتها التوزيعية تقوم على ترتيب: (مسند إليه + مسند).

الجملة الفعلية: ويتصدرها فعل وبنيتها التوزيعية تقوم على ترتيب (مسند + مسند إليه).

وقد يعمد مستعمل اللغة إلى مخالفة هذين التركيبين النمطيين إلى تركيب جديد بالزيادة أو الحذف أو التقديم أو التأخير دون أن يخالف النظام الكلي للغة، فيوزع حدوده توزيعا سليما مجازا وفق قانون لغوي يخضع له للتعبير عن تجربة شعورية معينة لكننا بالمقابل، قد نكون إزاء متكلم يجهل القواعد، فيوزع مفرداته توزيعا مختلا يفسد المعنى، كأن يقول: "نضع الصحن في الطعام "وهو يريد أن "نضع الطعام في الصحن" فهذا المتكلم أخل بالتوزيع الركني، فربط حرف الجر بـ(الطعام) رابطا مختلا، عوض أن يربطه بكلمة (الصحن) ليدل على المكان والموضع الصحيح[2].

رابعا: أثر علم النفس السلوكي والآلي في التحليل التوزيعي:

تأثر "ليونارد بلومفيلد" تأثرا عميقا بمبادئ **المدرسة السلوكية (Behaviorism)** في علم النفس، لاسيما بأطروحات مؤسسها "**جون واطسون (J. Watson)** وظهر هذا التشبع

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 30.

[2] – المرجع نفسه، ص 33.

واضحا في كتابه (اللغة) الصادر عام 1914م ونسخته المعدلة عام 1933م، حيث أعلن صراحة التزامه بالسلوكية كإطار نموذجي لوصف اللغة، معتبرا اللسانيات شعبة من شعب علم السلوك، ونتيجة لذلك نظر "بلومفيلد" إلى اللغة باعتبارها نتاجا آليا واستجابة كلامية لحافز سلوكي خارجي ظاهر، مفسرا الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحت أطلق عليه اسم "**المنهج المادي أو الآلي**"، وهو منهج يفسر السلوك البشري في حدود (المثير والاستجابة) على غرار ما تقرره العلوم الفيزيائية والكيميائية في تفسير الظواهر الطبيعية بناء على تتابع العلة والأثر، ولشرح هذه الآلية اللغوية صاغ "بلومفيلد" قصته الشهيرة عن "**جاك وجيل**" حيث كان هذا الأخير يتنزهان في حديقة فشعرت جيل بالجوع (حافز داخلي)، ورأت تفاحة على الشجرة (مثير خارجي)، فأصدرت أصواتا لغوية تعبر عن هذا الجوع، وعلى إثر هذه الأصوات (استجابة كلامية أولى / مثير لغوي لجاك)، قفز جاك وتسلق الشجرة وقطف التفاحة وقدمها لجيل (استجابة عملية)، فأكلتها جيل (حدث تتابع عملي)"، من خلال هذه القصة، حدد "بلومفيلد" بدقة حدود عمل الباحث اللغوي التوزيعي، فاللساني يهتم بالحدث الكلامي والتصرف السلوكي الخارجي المترتب عليه فحسب، لأن اللغة عنده سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز مادية، وبناء عليه **لا يهتم الباحث بالعمليات النفسية أو الحوافز الداخلية السابقة على الكلام**، بل ينصرف إلى دراسة التصرف الكلامي الظاهري، فيصف ما فيه من فونيمات ومورفيمات موزعة في إطار جملي وقد قسم "بلومفيلد" هذا الحدث السلوكي لثلاثة مستويات:

1- أحداث عملية سابقة للحدث الكلامي (الجوع والمثير).
2- الحدث الكلامي الظاهري (الأصوات المنطوقة بدالها وشكلها).
3- أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي (قِطاف التفاحة وأكلها).

خامسا: بنية النظام اللغوي وآليات التحليل الإجرائي للجملة:

يمكن وصف أي نظام لغوي وصفا علميا من خلال عرض بنيته، لأن البنية توضح العناصر، وأقسام تلك العناصر وعلاقات تنظيمها، وردودها وتبادلها بعضها مع البعض الآخر، وتنتظم العناصر اللغوية داخل النص وفق نوعين رئيسين من العلاقات البنيوية.

العلاقات الأفقية (التركيبية السياقية): وهي التي تبين العلاقات النحوية المباشرة وتوضحها بوصفها أهم علاقة جمالية تربط الوحدات بسياقها على خط أفقي ممتد.

العلاقات الجدولية أو الصرفية (الاستبدالية): وتكتسي قدرا كبيرا من الأهمية وهي العلاقات التي تمكننا من استبدال عنصر لغوي بعنصر آخر في السياق ذاته لأسباب دلالية أو جمالية مختلفة، فالاستبدال هو إمكانية اختيارية تتعلق بالنظام (الجدول الافتراضي)، يتيح للمستعمل استحضار عناصر لغوية يحل بعضها محل بعض، إن مستعمل اللغة يعود دائما في تركيب جملة إلى مراعاة هذه العلاقات الأفقية والجدولية، ولو بغير وعي منه، لأن مخالفتها تؤدي حتما إلى خلل في التوزيع اللغوي العام بسبب خرق القاعدة النظامية[1].

طرق التحليل الإجرائي للجملة:

يتوسل التحليل التوزيعي لتفكيك الجملة وإبراز مكوناتها المباشرة ومواقعها التوزيعية عبر طرق شكلية محددة، من أبرزها "**التحليل بالأقواس** "الذي يعزل كل وحدة لسانية لتحديد رتبتها وقيمتها التوزيعية داخل بنية الجملة الكبرى، ومثاله:

({(يا) (فرنسا)}، { (قد) (مضى)}، {(وقت) (العتاب)})

حيث يتم عبر هذا التوزيع الشكلي عزل أدوات النداء، والأسماء، وحروف التحقيق، والأفعال، والتركيب الإضافي، لبيان كيفية تلاحم المكونات المباشرة أفقيا لإنتاج الدلالة النظامية للخطاب[2].

خلاصة:

أن **الأسلوبية التوزيعية** بمتكآتها اللسانية الأمريكية مع "**سابير** و **بلومفيلد** و **هاريس**" قد أحدثت نقلة شكلية صارمة في تشريح الخطاب الأدبي، إذ نقلت التقصي الأسلوبي من فضاء التأويلات المعنوية الهلامية إلى فضاء المعاينة المادية لتوزيع الوحدات (المور فيمات) ورصد حركتها العمودية والسياقية، وعلى الرغم من المأخذ السلوكي الجاف الذي

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر: موفم للنشر، 2007م، ص 163، 164.

[2] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 45.

يفرضه هذا المنهج باستبعاده الأولي للمضمون النفسي والمعنى الجواني، إلا أنه منح الأسلوبية أداة وصفية بالغة الدقة (كالتحليل بالمكونات المباشرة والأقواس) تعين على كشف "البصمة الأسلوبية" من خلال رصد طرائق المنشئ في تكثيف أو خلخلة المتغيرات اللسانية، وإعادة توزيعها خارج نطاق المعيار السائد، وبذلك تلتقي التوزيعية مع الأسلوبية في نقطة مركزية: إن الأسلوب هو خيار توزيعي ومفارقة شكلية تنجز بالفعل داخل نظام القانون اللغوي العام.

المحاضرة السابعة

الظواهر الأسلوبية (الانزياح والمفارقة)

مدخل:

إن دراسة الخطاب الأدبي وتفكيك بناه الجمالية تقتضي بالضرورة الوقوف على الظواهر الأسلوبية التي تمنحه فرادته وتميزه عن الكلام النمطي الشائع، ذلك أن القيمة الفنية للنص لا تتجلى في ما يقوله فحسب، وإنما في الكيفية التي يُقال بها، ومن هذا المنطلق اهتمت الدراسات الأسلوبية الحديثة بالبحث في الآليات اللغوية والتعبيرية التي تساهم في إنتاج الدلالة وتشكيل الأثر الجمالي سعيا منها إلى الكشف عن أسرار الإبداع الكامنة في بنية النص ومستوياته المختلفة.

وتأتي ظاهرتا «الانزياح» و«المفارقة» في مقدمة هذه الأدوات الإجرائية التي تخرج باللغة من وظيفتها الإخبارية المباشرة إلى وظيفة فنية وإيحائية أكثر عمقا وتأثيرا فالانزياح يمثل خرقا مقصودا للمألوف اللغوي وانحرافا عن الاستعمال العادي للغة، بما يتيح للنص إمكانات تعبيرية وجمالية جديدة، بينما تقوم المفارقة على إحداث توتر دلالي بين المعنى الظاهر والمعنى المقصود، الأمر الذي يثري النص ويمنحه أبعادا تأويلية متعددة، وبهذه الآليات يتحول الخطاب الأدبي إلى فضاء مفتوح للإيحاء والتأويل، تتجاوز فيه الكلمات حدودها المباشرة لتكتسب طاقات دلالية وجمالية أوسع.

ويعتبر المعجم والمصطلح المفتاح الأساس للنفاذ إلى كنه هذه المفاهيم وفهم آليات اشتغالها داخل النصوص الأدبية، إذ لا يمكن الإحاطة بأبعادها النظرية والتطبيقية دون الوقوف على جذورها الاصطلاحية ومسارات تطورها في الحقول المعرفية المختلفة، غير أن هذه المفاهيم لا تخلو من صعوبات منهجية تتعلق باتساع دلالاتها وتعدد استعمالاتها واختلاف المقاربات التي تناولتها، نتيجة التفاعل بين اللسانيات والنقد الأدبي والفلسفة والبلاغة، كما أن انتقال هذه المصطلحات بين الثقافات واللغات المختلفة ساهم في تعدد تسمياتها واختلاف حدودها المفهومية، الأمر الذي جعل تحديدها وضبطها بدقة من القضايا التي ما تزال تستأثر باهتمام الباحثين والدارسين في مجالات النقد والأسلوبية الحديثة.

أولا: ظاهرة الانزياح(Deviation) :

1- الانزياح لغة واصطلاحا:

يعود مصطلح الانزياح في أصله إلى زوال الشيء وتنحيه في المعجم العربي، ويأتي بمعنى ذهب وتباعد، فهو يرتبط بالتباعد والتنحي، وتغيير حال معينة وعدم الالتزام بها، وقد تتعدى هذه الدلالة البعد المكاني لتشمل زوال الأحوال والعلل، كقولنا: "زاح عنه المرض" أي زال عنه وانقشع[1].

أما في الاصطلاح فالمفهوم يشبه دلالته اللغوية، ليتحدد بوصفه خروجا واهتزازا عن المألوف والمعتاد، وتنحيا عن السائد والمتعارف عليه في نظام اللسان، وهو إضافة جمالية تعبيرية ينقل المبدع من خلالها تجربته الشعورية بتموجاتها إلى المتلقي ويعمل على التأثير فيه. وبناء على هذا، فإن الانزياح إذا حقق قيمة جمالية وتعبيرية يعتبر خروجا عن المألوف، وتجاوزا للسائد، وخرقا للمتعارف عليه.

2- الأنماط الإجرائية للانزياح الأسلوبي: لما كان الانحراف اللغوي مرتبطا بالبنية النصية، فيمكن تقسيمه إجرائيا إلى نوعين هما:

الأول هو الانزياح الدلالي: ويكون في البلاغة، أو الصور، أو التشبيه، أو المجاز، وهو من الأنواع المؤثرة تأثيرا كبيرا في القراء وتوجيه استجاباتهم.

والنوع الثاني هو الانزياح التركيبي : وهو مرتبط بقوانين اللغة، والنظم، وخرق آليات تركيب العبارات النمطية، كالتقديم والتأخير مثلا[2].

---

[1]- أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 30. وينظر: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور :**لسان العرب**، ط1 ، مج2 ، دار الكتب العلمية، بيروت 2003، مادة (زاح). محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي :**الصحاح**، ط2 ، دار الحداثة، 1983 ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي :**الصحاح**، ط2 ، دار الحداثة، 1983 ، مادة (زاح).

[2]- إسراء أبو رنة، «تعريف الانزياح لغة واصطلاحاً»، موقع سطور(sotor.com) ، نُشر يوم 2023/02/21، ومحمد الهادي بوطارن وآخرون :المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية، دار الكتاب الحديث، دط، بيروت، 2008 ، ص160 .

3- الانزياح والأسلوبية: يعكس الأسلوب فكر الكاتب وشخصيته الواعية بناء على اختياراته اللغوية القاصدة، ولذلك يعمد المبدع في كثير من الأحيان إلى مراعاة اختياراته وتوجيهها بدقة حسب أصناف المتلقين الذين يخاطبهم، وسيسعى حتما لجذب الانتباه إليه، وتلك الاختيارات التعبيرية تكون في أغلبها منزاحة عن الأصل المعياري، كالتقديم والتأخير، أو الحذف والذكر، وبذلك يكون الكاتب قد خالف المألوف وتفنن في إبداع نصه وفردانيته.

وقد وصلت معظم الدراسات التي قامت حول علم الأسلوب إلى أنه يقوم جوهريا على الانزياح، أو ما يطلق عليه الانحراف، حتى إن الكثير من الباحثين ربطوا بين مفهوم الأسلوب بوصفه انحرافا عن القاعدة العامة وبين التصور القديم له القائم على أنه طبقة زخرفية تزين النص بالأساليب البلاغية، ويساعد هذا التصور المعاصر على التمييز الواعي بين المحسنات الموجودة في النص وبين الأساس العادي المألوف للغة المستعملة، وبناء على ما ذكر، فإن علم الأسلوب في طليعته هو رصد للانحراف عن القاعدة المألوفة في نص[1].

ثانيا: ظاهرة المفارقة(Paradox / Irony) :

اختلفت مفاهيم المفارقة (Paradox) وتباينت دلالاتها المنهجية والنقدية بشكل ملحوظ بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي التداولي.

1- المفارقة في اللسان العربي (المعاجم القديمة): أما أصل كلمة مفارقة في المعاجم العربية فهي مشتقة من الجذر الثلاثي **(فرق)**، حيث فصل في دلالاتها الإمام الزمخشري (ت 538هـ) تفصيلا يتناسب مع استعمالاتها عند العرب البلاغية والمادية، حيث يقول في **أساس البلاغة** فرق: "بدا المشيب في مَفرقه ومفِرَقه وفرقه، ورأيت وبيض الطيب في مفارقهم، وفرقت الماشطة رأسها كذا فرقا، ورأس مفروق وديك أفرق: انفرقت رعشته، وجمل أفرق ذو سنامين، ورجل أفرق الأسنان: أفلجها، وناقة فارق: ما خض الإبل نادة من وجع المخاض، ونوق فرّق وفوارق ومفاريق، وقد فرقت فروقا وتشبه بها السحاب" ويلاحظ من هذه

[1] - أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص 30. (علاقة علم الأسلوب بالانحراف).

التعاريف اللغوية أن مادة الجذر اللغوي (فرق) قد غلبت عليها المعاني المادية الحاصة بالفصل والشق والتمييز، ويواصل الزمخشري تتبع الحركية المعجمية للفظ فيقول عنها: "وفرق لي الطريق فروقا وانفرق انفراقا، إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما، وطريق أفرق: بين، وضم تفاريق متاعه أي ما تفرق منه، وضرب الله بالحق على لسان الفاروق، وسطع القرآن أي أصبح" ويتدرج الزمخشري بعد ذلك في مراتب استعمال الجذر اللغوي (فرق) في المجاز فيقول: "ومن المجاز وقفته على مفارق الحديث، أي على وجوهه الواضحة" وما يمكن ملاحظته أنه لا يوجد فرق واضح بين المعنى الحقيقي والمجازي، ذلك أنهما لا يخرجان عن معنى الفصل بين أمرين كان أحدهما مخالفا للآخر أو نقيضا له أو نظيرا للآخر[1].

وأما الفيروز أبادي (ت 817هـ) فيرى في مصنفه القاموس المحيط أن "فرق بمعنى فصل، وسمي عمرو بن الخطاب رضي الله عنه بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل، أو أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الكفر والإيمان، وفرق له الطريق فروقا: اتجه له طريقان وهنا نلاحظ أن المعنى قد تحول إجرائيا إلى مقابلة بين متضادين أحدهما سلبي والآخر إيجابي، أو بين أمر ظاهر وآخر مضمر، أو بين الجد والهزل[2].

2- المفارقة في المفهوم الاصطلاحي والبلاغي: ورد مصطلح المفارقة عند علماء اللغة والبلاغة بمفاهيم كثيرة ومتعددة حتى توغلت دلالتها في ضبابية المدركات الذي يكاد يغشى عليها لكثرة تشعباتها، ومع ذلك فقد ركزت أغلب المفاهيم على القوة الذهنية للمتكلمين حين تتجلى في الممارسة التواصلية التي تستهدف التأثير في المتلقي، ولذلك فهي تتحرك وفق مسارات عديدة لدلالات عميقة يمكن وصفها بأنها زئبقية، تجعل القارئ يكاد يمسك طرفا منها ليصل إلى آخر، متخبطا بين هذا وذاك تاركا ما حاول الوصول إليه من دلالات حتى يصل إلى دلالات أعمق وأبعد غورا[3].

---

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 20.

[2]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (فرق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص 916-917.

[3] – دي سي ميويك، المفارقة، ص 22 ؛ وينظر أيضاً: يسري أبو سنينة، «المفارقة في شعر الصنوبري»، ورقة بحثية، جامعة غزة، فلسطين، 2015م، ص 2.

ولهذا تتجلى المفارقة في مظاهر عديدة ترتبط بالوجود، والإنسان، والمجتمع البشري، وتبرز بوضوح في زوايا التناقض والتضاد بين عناصر كان ينبغي أن تكون متوافقة منسجمة، فتظهر لنا الموقف عكس حقيقته الظاهرة، حيث يختلط العبث مع الجد، والصدق مع الكذب، وهي تتصل في كثير من أشكالها بالتهكم والسخرية المبطنة، هذا التمازج الجامع بين المتناقضات يوفر للمتلقي متعة متشابكة يتداخل فيها اللساني مع الدرامي، والإشاري مع الرمزي[1].

ومهما يكن من أمر فإن تتبع مفهوم المفارقة ينطوي على مخاطر منهجية كثيرة لأنها استعصت تاريخيا على الإلمام والتحديد الدقيق، كما أنها لا تختص بمجال معرفي واحد أو ثقافة واحدة أو شعب معين، بل لكل أمة مفارقاتها واستعمالاتها المختلفة، وبعبارة أخرى لا تقتصر المفارقة على اتخاذ أشكال شتى فحسب، بل إنها من حيث المفهوم في تطور بنيوي مستمر، ومع ذلك يمكن أن نحددها بأنها صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد الخفي.

والمفارقة بأسلوبها الملتوي تعتبر أخف من الهزء والسخرية الجافة، ولكنها أبلغ أثرا في النفوس بسبب أسلوبها غير المباشر، لذلك يتطلب إدراكها ذكاء حادا وحسا لغويا مرهفا، وتتصف المفارقة غالبا باستخدام عبارات المدح والثناء لتفيد الذم والهجاء، والعكس من ذلك أقل ورودا في النصوص، وإدراك المفارقة أسهل وأيسر في الكلام المنطوق منه في الخط المكتوب لأن نبرة الصوت وتلويناته التعبيرية تنم عن القصد الحقيقي للباث وتكشفه[2].

---

[1] – صليحة سبقاق، «المفارقة في الشعر العربي الحديث « مجلة اللغة الوظيفية، مج1، ع22، 2015م، ص 3؛ وينظر التخريج الدرامي عند: عبد السلام جغدير، «أشكال المفارقة في مسلسل عاشور العاشر«، مجلة دراسات فنية، جامعة تلمسان، مج6، ع1، 2021م، ص 459.

[2] – دي سي ميويك، المرجع السابق، ص 258 (البعد الأدائي والتلوين الصوتي للمفارقة).

ثالثا: البعد التداولي للمفارقة وآليات التأثير والخطاب:

1- مفهوم المفارقة تداولياً وفاعلية المتلقي:

اعتنت المفارقة في العرف التداولي بالخطابات الأدبية البعيدة عن التقريرية والمباشرة السطحية، وركزت على الجوانب البلاغية التي تظهر خلاف ما تضمر وتعمل على إثارة النفوس، وتبحث بدقة عن تفحص الآثار الناجمة عن ذلك الأسلوب، وفي المقابل يصبح المتلقي في هذا الفضاء عنصرا فعالا ونشطا في فك شفرات المفارقة، وتحليلها، وفهم مقاصدها الجوانية.

ولذلك يمكن اعتبار المفارقة عنصرا بلاغيا جديدا مكملا للبلاغة الكلاسيكية من حيث توجهها الحجاجي إلى جميع أنواع السامعين، إنها تحتضن بآلياتها ما يسميه القدامى "**فن الجدل**" أي طريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة المهتمة خاصة بالمسائل الظنية والاحتمالية، المرتبطة بالخطاب البلاغي وبمقاصد المتكلمين والمستوى الفكري والثقافي للمستمعين ومكانتهم الاجتماعية[1].

2- المثلث الخطابي واستنطاق القوة المتضمنة في القول:

تجتمع في هذا الفضاء العناصر الخطابية الثلاثة**(الباث، والضحية، والرسالة)**، لتؤدي المفارقة وظيفتها التأثيرية ولإقناعيه من خلال العناصر الكلامية التي تبتعد عن الغرض التواصلي النفعي وتهدف إلى معالجة كل ما تعلق بالإنسان، الذاكرة، والعقل، والمعارف الموسوعية الخلفية، إنها عناصر تشكل أساس العلاقات التخاطبية بين الناس، وهي علاقات تخاطبية غير جاهزة أو معطاة مسبقا، بل هي علاقات مفترضة تقوم على: أسئلة وأجوبة، وأجوبة وأسئلة في الوقت نفسه، إن استعمال اللغة في آخر المطاف يعني إثارة الانتباه حول سؤال حقيقي أو افتراضي تتضمنه الأفعال الكلامية.

---

[1] - ناصر الحباشة، التداولية والحجاج: مدخل ونصوص، دار صفحات للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص 15 (فن الجدل والبلاغة الكلاسيكية).

وقد تخلق هذه الأفعال إشكالا تواصليا بين المتكلم والسامع، ويتمثل هذا الإشكال في الانعكاسية التي تحدثها هذه الأقوال بالنسبة للمستمع، والقول الانعكاسي هو نتيجة لجواب يفترض رد فعل أو انفعالا ونشاطا تأويليا، وليس وسيلة مباشرة للطلب أو السؤال النمطي، وذلك ما ينطبق تماما على الفعل التأثيري للمفارقة حين يتميز المتلقي بالكفاءة والحنكة التي تخول له استيعاب الدلالة الضمنية التي قد يحملها سؤال أو أسلوب نفي، أو أسلوب التقديم والتأخير، أو التعجب والاستفهام، أو الاستعارة والكناية والتعريض والتورية وغيرها من العناصر البلاغية الموجهة[1].

وتلك العناصر هي ما يمكن أن يعبر عنها بما أطلق عليه التداوليون المعاصرون اسم "**المفارقة الإنشائية**" والتي كانت وليدة إدراج القوة المتضمنة في القول ضمن شروط صدقه ومقامه، والتي تحددها الصورة المنطقية بعد إثرائها بنتائج التأويل الدلالي والسياقي للقول، حيث كان طفو المفارقة الإنشائية كبيرا وباديا.

وبالفعل فإن إحدى نتائج التحليل التداولي للأقوال التي لا يمكن التهرب منها هي تحديد القوة المتضمنة في القول، والتي تكون على أساس تشكل المفارقة البلاغية التي ينخدع لها المتلقي ظاهريا، وتجعل صاحبها (الباث) يحقق غايته الدلالية والإقناعية، وينجو في المقابل من العتاب، والعقاب، والمعارضة والمخالفة، أو الرفض والرد[2].

خلاصة:

أن الانزياح يمثل خروجا مقصودا عن النظام اللغوي المألوف، يهدف إلى إعادة تشكيل اللغة وتحريرها من أنماطها التداولية المعتادة، بما يساهم في إنتاج الشعرية وإبراز الخصوصية الفنية للنص الأدبي، فالأديب لا يكتفي باستعمال اللغة بوظيفتها التواصلية المباشرة، بل يعيد صياغتها وفق رؤيته الجمالية، فيكسر توقعات المتلقي ويمنح الخطاب طاقة إيحائية تتجاوز المعنى الظاهر إلى آفاق أرحب من الدلالة والتأويل، أما المفارقة فتقوم

---

[1]– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص 195– 199.

[2]– جاك آن موشلر، وأني ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوب، دار سيترا، تونس، 2010م، ص 125) .القوة المتضمنة في القول والتأويل السياقي.

على استراتيجية بلاغية وتداولية أكثر تعقيدا، إذ تعتمد على بناء مسافة بين ما يقال وما يقصد، أو بين الظاهر والخفي، بما يخلق حالة من التوتر الدلالي تستثير ذهن المتلقي وتدفعه إلى البحث عن المعنى الكامن وراء ظاهر القول، ومن ثم لا تقتصر المفارقة على كونها مجرد أسلوب تعبيري، بل تمثل آلية فنية تساهم في تعميق الرؤية النقدية للنص وتوسيع دائرة التأويل فيه.

على الرغم من اختلاف الانزياح والمفارقة في آليات اشتغالهما، فإنهما يشتركان في تجاوز المباشرة والتعبير المألوف، من خلال كسر توقعات المتلقي وإثارة مشاركته في تأويل النص، مما يجعله شريكا فاعلا في إنتاج المعنى والكشف عن الدلالات الكامنة في الخطاب، يمثل الانزياح والمفارقة آليتين أسلوبيتين أساسيتين تسهمان في إثراء النص الأدبي وتعميق دلالاته، من خلال توسيع إمكانات اللغة التعبيرية وفتح المجال أمام تعدد التأويلات وإثارة تفاعل المتلقي.

ثانيا: تحليل الخطاب

المحاضرة الثامنة

ضبط مفهومي النص والخطاب

مدخل:

تتمثل كينونة "النص" و"الخطاب" في انها أحد أبرز الانشغالات المعرفية التي استأثرت باهتمام الباحثين في اللسانيات والدراسات النقدية المعاصرة، نظرا لما يحتله هذان المفهومان من مكانة محورية في فهم آليات إنتاج المعنى وبناء التواصل الإنساني، وقد ازداد الاهتمام بهما مع التحولات التي شهدها الفكر اللساني خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث لم تعد الدراسات اللغوية تقتصر على تحليل الجملة بوصفها وحدة مستقلة ومغلقة، بل اتجهت نحو دراسة الوحدات اللغوية الكبرى والعلاقات التي تربط أجزاء النص في سياقاتها المختلفة ومن هنا مثل الانتقال من "لسانيات الجملة" إلى "لسانيات النص" و"تحليل الخطاب" انعطاف منهجي مهم ساهم في توسيع مجال البحث اللغوي وربطه بالأبعاد الاجتماعية والثقافية والتداولية للغة.

وقد أفضى هذا التحول إلى إعادة النظر في العديد من المفاهيم التقليدية المرتبطة باللغة والتواصل، إذ أصبح النص ينظر إليه بوصفه بنية دلالية متماسكة تتجاوز حدود الجمل المفردة، بينما غدا الخطاب ممارسة تواصلية تتفاعل فيها العناصر اللغوية مع ظروف الإنتاج والتلقي والمقاصد التداولية للمتكلمين، وبهذا لم يعد الاهتمام منصبا على البنية اللغوية وحدها، بل امتد إلى دراسة السياقات التي تنتج فيها الخطابات والوظائف التي تؤديها داخل المجتمع.

أولا: المقاربة المفاهيمية لـ "النص"(Text) :

1- المفهوم اللغوي للنص في الفكر المعجمي:

اختلفت الآراء وتعددت التوجهات حول مفهوم مصطلح النص، وذهب الدارسون في تحديد مفهومه مذاهب شتى، وكل نظر إليه من زاوية نظر مختلفة ما بين ما هو نصي، وبلاغي، ولساني، وتداولي، وأصولي، وفلسفي، ولكن يتفقون جميعا تقريبا على أن الأصل

اللغوي لهذا المصطلح يعني السمو والارتفاع، كما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) مثلا قوله: "نصص: النص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند، ... ووضع على المنصة أي على الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى، وقيل: نصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، نص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض، ونص الدابة ينصها نصا رفعها في السير، وكذلك الناقة، والنص والنصيص: السير الشديد والحث، ولهذا قيل: نصصت الشيء رفعته، ومنه منصة العروس، وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع، وما نلاحظه على هذه الاستعمالات أنها تتفق جميعا في معنى الرفع والشدة والقوة والغاية والعلو، وهي معاني شريفة لا تكون للشيء الوضيع، ولذلك كان لهذا المفهوم معنى لطيفا في دلالاته الاصطلاحية استمدها من الدلالة اللغوية عند العرب[1].

2- التحديد الاصطلاحي والتحول السيميائي للنص:

عرف "رولان بارث" النص تعاريف كثيرة، ولكن أكثرها إثارة قوله أن النص "نسج تتخلله جملة من الوحدات الدالة والمفاهيم القائمة، وهو في تعريف آخر يقدمه يقول "هو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء"، وهو مفهوم فصل فيه كثيرا في كتابه درس السيميولوجيا.

وانطلاقا من تعريف النص المقترح باعتبار أنه نص "تعددي أي يحقق تعدد المعنى ذاته، إنه تعدد لا يؤول إلى أية وحدة، ليس النص تواجدا لمعاني، وإنما هو مجاز وانتقال، بناء على ذلك فلا يمكن أن يخضع لتأويل، وحتى لو كان حر، وإنما يمكن أن نطلق عليه التعدد المتناغم للدلائل التي يتكون منها" فإن النص لا يقع في المستوى نفسه الذي تقع فيه الجملة، كما أنه لا يقع موقعها من حيث المفهوم، وعلى هذا الأساس فإن النص يجب أن يتميز عن الفقرة باعتبارها وحدة نمطية من عدة جمل، لذا، يمكن عدها علامة من علامات الترقيم، كما أن النص في تصوّر "تودوروف" يتحدد باستقلاليته وانغلاقه (أي له بداية

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن، ص، ص).

ونهاية)، كما أنه ذو محتوى دلالي متجانس متكامل، ويمتاز بالوضوح، بينما سعى "بنفنيست" إلى القول بأن: "الجملة إبداع ليس له تعريف، وتنوع بدون حدود، وهي الحياة نفسها للغة في أثناء الفعل"[1].

3- الأبعاد الخمسة للنص عند محمد مفتاح:

انتهى محمد مفتاح إلى أن النص "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"، وذلك على الرغم من إقراره المبدئي بأن "للنص تعاريف عديدة تعكس توجهات معرفية ونظرية ومنهجية مختلفة" فبوصفه:

"**مدونة كلامية**": يعني أنه ليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا، وإن استعان الدارس برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

"**حَدَث**": يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

"**تواصلي**": يهدف إلى إيصال معلومات ومعارف ونقل تجارب إلى المتلقي.

"**تفاعلي**": على اعتبار أن أهم وظائفه التفاعلية للنص اللغوي هي تلك التي تقيم علاقات بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها، علما بأن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست كل شيء.

"**مغلق وتوالدي**": ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية "توالدي"، كون الحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية، وتتناسل منه أحداث لغوية لاحقة به.

هذه هي أهم العناصر والركائز الأساسية التي يقوم عليها مفهوم النص من وجهات نظر مختلفة سواء أكانت بنيوية، أم اجتماعية، أم أدبية، أم نفسية، وحتى دلالية ذات البعد اللغوي المعجمي، والبعد اللساني والتداولي، ولهذا فالنص هو تكريس للثقافة ومرآة المجتمع بكل نسيجه زمانيا ومكانيا، والعلاقات بين الوحدات اللسانية المشكلة له كعلاقات الأشخاص

---

[1]- ينظر: رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ص 59 – 62.

في الحياة الاجتماعية، كما أنه حصن يجمع النظام الدلالي والبياني للمجموعة المتكلمة بلسان واحد، أو مستوى لغوي واحد، فالنص أيا كان هو مجموعة من العلاقات اللغوية التي تخدم فكرة أو مجموعة أفكار أو مفاهيم قابلة للتفسير والشرح والتأويل مما يمهد لتطويع النص لقراءات جديدة أو تأكيد قراءة ما (فقرة استنتاجية جامعة تابعة لتعريف مفتاح).

ثانيا: المقاربة المنهجية لمفهوم "الخطاب(Discourse) ":

1- الدلالة المعجمية العربية للخطاب وثنائية التفاعل:

كما كان اتساع مفهوم النص لغويا كان مفهوم الخطاب أيضا شائكا ومتشعبا إلى شعب كثيرة، ففي اللغة ورد في معجم لسان العرب أيضا مادة خطب في الجذر اللغوي (خ ط ب) حيث جاءت في قوله: "الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر، ويقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك، وتقول هذا خطب جليل، وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، ومنه قولهم: جل الخطب، أي عظم الأمر والشأن. وقال الجوهري: والخطيب الخاطب، والخطيبى الخطبة، وخطبها واختطبها عليه. والعرب تقول: فلان خطب فلانة إذا كان يخطبها، ويقول الخاطب: خطب، ورجل خطاب: كثير التصرف في الخطبة. يقال الخِطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخِطابا، وهما يتخاطبان. وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة، والخطبة مصدر الخطيب.لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام"، وما يلاحظ على هذا الاستعمال في اللغة عند العرب هو أن الخطاب يكون بين اثنين سواء كانا حاضرين أم كان أحدهما غائبا أو كان أحدهما متكلما وكان الآخر مستمعا، وبالتالي فهما يتبادلان الأدوار كلاما سواء على وجه الحقيقة أم على سبيل المجاز، كما يكون التخاطب بين جنسين مختلفين ذكرا وأنثى مثل حالات الخِطبة وهي مقدمة الزواج[1].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب).

2- المفهوم اللساني والتنظيمي للخطاب:

وأما في الاصطلاح: فإن الخطاب هو الكلام بين اثنين بواسطة المشافهة أو الكتابة أو الرؤية أو التصوير أو التصريح أو التلميح، والخطاب يقابل في اللسانيات الكلام، ولكن يشترط فيه التنظيم والقابلية للتحليل كما قال بذلك (جون دي بوا وآخرون) في معجم اللسانيات، حيث يتحدد من خلال: (الكلام، مرادف للملفوظ، ملفوظ أكبر من الجملة، الرسالة)[1].

3- لسانيات الجملة في مقابل لسانيات الخطاب عند رولان بارث:

فإذا وقفنا على هذه المفاهيم الثلاثة نجد أن "رولان بارث" قد نظر إلى الخطاب نظرة لسانية صرفية، ويجعله أساسا في التحليل البنيوي للخطابات فهو يقول في كتابه مدخل إلى التحليل البنيوي: "تقف اللسانيات كما نعلم عند حدود الجملة، فهي تعتبر أن الجملة هي الوحدة الأخيرة وأن الانشغال بها حق من حقوقها، فالجملة كما تراها نظام وليست سلسلة من الكلمات، ولأنها هي فعلا كذلك لا يمكن أن تختزل لتكون مجموع الكلمات التي تؤلفها"، وهنا تجاوز بارث مقولات المعجميين واللغويين التقليديين وسار في فلك اللسانيين وعلى رأسهم جميعا "دي سوسير" الذي توقفت دراسته اللسانية للسان عند حدود الجملة ولا يمكن تجاوزها، حتى سميت بـ "لسانيات الجملة" لأنها تقف عند حدودها، وأما الخطاب كما يقول بارث: "فهو مجموعة من الجمل المنظمة، وهذا بدهي وأنه ليبدو بهذا التنظيم رسالة للغة تعلو على لغة اللسانيين" فـ "للخطاب وحداته وقوانينه ونظامه القاعدي، ولهذا فقد وجب أن يكون الخطاب موضوعا لسانيات أخرى مكانها وراء الجملة، وإن كان هو مؤلفا من جمل فقط، ولقد كان للسانيات الخطاب خلال فترة زمنية طويلة، اسم مجيد هو البلاغة".

إذن فقد ربط "بارث" بين ما هو شكلي لساني وبين ما هو بلاغي جمالي، فمن وجهة نظر المعيار الخطاب سلسلة متتالية ومرتبة من الجمل يمكن أن تشكل جملة كبيرة، ولكن هناك علم آخر يدرسها يتجاوز حدودها إلى آفاق أرحب ليلامس حدود الجوانب البلاغية والجمالية للخطاب، هذا العلم هو لسانيات الخطاب، ولكن التحليل اللساني للخطاب ينطلق

---

[1]- Jean Dubois et autres, Dictionnaire de Linguistique, p. 151

من التعريف الثاني (خطاب/ ملفوظ)، إذ المنطلق يضع حدودا للتنازع بين ما هو لساني وغير لساني، ذلك لأن اللسانيات تسعى لمعالجة الملفوظات المجتمعة، ودراسة مسارها عندما تحدد قواعد للخطاب وقوانين للمعالجة تتصف بالمنطقية وفق أصول الملاحظة وما يترتب عنها من استنتاجات.

ثالثا: الأداء اللغوي والأنماط التعبيرية في الخطاب المكتوب:

1- إنتاج الرسالة وآليات التشفير الاجتماعي:

تعد اللغة نظاماً من العلامات المنتظمة في سياق معين، وخاضعة لثقافة المرسل والمشفرة تشفيرا محمولا على الدلالة الاجتماعية وخبراته في الحياة، والموجهة آليا إلى قارئ يتقاطع معه كليا أو جزئيا يكون قادرا على فك شفرات تلك الرسالة وفق أسس لسانية وجمالية مشتركة، والنظام اللغوي أنماط عرفية تنتظم في الأصوات والكلمات والتراكيب للتعبير عن المعاني والتجارب والأحداث والمشاعر، أما الأنماط فهي صور المفردات نحو (فعل، فعل) وبالنسبة للأسماء (المجرد والمزيد)، فالأنماط إذن: صيغ تواضع عليها الأفراد في مجتمع ما وتنتظم فيها الأصوات والكلمات إذ لا يمكن أن نقول مثلا في "المجلِس" (على وزن مفعِل) "تجلس" أي أن كل حرف يأخذ موضعه المحدد من الصيغة.

مستويات الأداء اللغوي الثلاثة: يمكن أن نجمل مستويات الأداء اللغوي في ثلاثة أمور أساسية هي:

المستوى العامّي: الذي ينقل ما في الحياة اليومية بتراكيب وأصوات فيها الاضطراب والعجمة.

المستوى الموضوعي والعلمي: لنقل الأفكار ويكون بأصوات وتراكيب تعتمد الصحة فحسب.

المستوى الجمالي والفني: لنقل التجارب ويظهر في أصوات وتراكيب تعتمد الفصاحة والبلاغة، إذ يجب أن نختار الأغراض المناسبة لهذا الفن أو ذاك (ترحم، أسىً، رثاء)، وأن

نختار التعبير الصحيح البليغ والعبارة المؤثرة قصد التأثير بأساليب فنية تناسب المقام وتعتمد ضوابط مشتركة توافق القياس والسماع.

إن اللغة مجموعة من العناصر اللغوية التي يعتمدها المتكلم أو الكاتب في صياغته نصوصه، بينما في مجال الخطاب يعتمد موروثه اللغوي المكتسب أداة لإنجاز رسالة خاصة، وفق ملابسات وظروف معينة. وعلى هذا فالخطاب لا يكافئ اللغة في شيء بل يختلف عنها جملة وتفصيلا[1].

خلاصة:

نخلص في نهاية المطاف إلى أن العلاقة البنيوية والتداولية بين النص والخطاب ليست علاقة تضاد أو إلغاء، بل هي علاقة تكامل وظيفي في مستويات الأداء اللغوي؛ فالنص كينونة مدونة، هندسة أيقونية مكتوبة تتميز بالانغلاق الشكلي الذي يمنحها هويتها البصرية واستقلاليتها البنائية (امتلاك بداية ونهاية مرئيتين)، غير أنها من الناحية المعنوية تظل بنية توالدية، ديناميكية، ومنفتحة على شتى مسارات القراءة، والتأويل، وإعادة الإنتاج، كونه حَدَثا كلاميا لا ينبثق من العدم المعرفي بل يتناسل من أحداث لغوية وتاريخية ونفسية سابقة، يمثل الخطاب الجانب العملي والحيوي للغة، إذ يحول اللسان من نظام تجريدي مخزون في الذاكرة الجماعية إلى ممارسة تواصلية فعلية، لذلك لا يفهم الخطاب من خلال بنيته اللغوية فقط بل من خلال سياق إنتاجه ووظائفه التواصلية والحجاجية والجمالية، وعلاقته بالمتلقي القادر على تأويل رسائله وفهم مقاصده، يتكامل المفهومان لتجاوز "لسانيات الجملة" الكلاسيكية نحو "لسانيات الخطاب" (ما وراء الجملة)، وهو علمٌ يربط الأشكال اللسانية بالمعاني الجمالية والبلاغية لاستنطاق مقاصد البشر، ورصد حركية الثقافة والمجتمع.

[1] – رولان بارث، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993، ص 30-32.

المحاضرة التاسعة

أصناف الخطاب (الخطاب اللغوي وغير اللغوي)

مدخل:

يتوزع الإنجاز التواصلي البشري على قنوات تعبيرية متعددة تتكامل في تحقيق مقاصد الإبلاغ، فالإنسان في جوهره كائن سيميائي لا يكف عن إنتاج الأدلة وتبادل الرسائل المشفرة مع محيطه الاجتماعي والمؤسسي، فبينما يستند "الخطاب اللغوي" إلى المنظومة الصوتية والتركيبية والنمطية للسان باعتباره نسقا تواضعي من العلامات المنظمة والمحكومة بقواعد الكفاءة والتوليد الذهني الكامن في فكر المتكلم يتأسس "الخطاب غير اللغوي" على وسائط سيميائية، وجسدية، وإيمائية تتجاوز حدود الملفوظ المنطوق والأثر المكتوب لتشكل ما يعرف بـ"ما وراء الكلام.

إن هذا النمط غير اللفظي يمتد ليتجلى في حركية الجسد، وسلوك العين، والمسافة المقامية، بل ويشمل كل العوامل والظواهر التي تفتعل التواصل وتمنحه طاقته التداولية الحية بعيدا عن القوالب النحوية الصرفة، ومن هذا المنطلق يهدف هذا الدرس إلى استقراء هذين الصنفين وتفكيك آلياتهما البنائية والتوليدية، مرتحلا بين المقولات السيميائية الغربية التي بحثت في "اللذة النصية" وأنساق التحويل والتوليد، وبين الإشراقات التراثية العربية (وفي طليعتها أطروحة الجاحظ) التي فطنت مبكرا إلى أن الإشارة ترفد اللفظ، وأن الجسد يترجم عن الفكر ما تقصر عنه العبارة الحرفية.

أولا: الخطاب اللغوي(Verbal Discourse)

1- المقاربة السيميائية واللذة النصية عند رولان بارث:

الخطاب مصطلحا لسانيا مركزيا لكنه لا ينعزل عن الأطر الإبستمولوجية والمعرفية، إذ "يشمل كل إنتاج ذهني، وهو يقوم على منطق داخلي وله ارتباطات مؤسسية." وبذلك يتشكل الخطاب كبنية داخلية فكرية تنبعث وتبث من نص ينتمي في أساسه إلى سياق

خطابي تواصلي معين، وهو ما يكسب الخطاب ميزة الاحتوائية، حيث يمثل النص جزءا حيويا من الفضاء الكلي للخطاب.

وفي هذا السياق، يقدم السيميائي الفرنسي رولان بارث تفريقا دقيقا بين المفهومين، إذ «الخطاب اللغوي عند "رولان بارت" هو ما يسمى بالأثر الأدبي، فقد فرق بين النص أو الخطاب كأثر أدبي فهو لا يسوي بينهما، فالنص بالمفهوم العام هو تشكيل مشاع لجميع الناس، ولكن "الأثر الأدبي" يظل بنية استثنائية لا يقدر على صياغتها إلا من امتلك كفاءة وقدرة وأداءً متميزا، إنه نص مفارق ومختلف نص يمارس غواية معرفية وجاذبية على قارئه، أو كما يعبر بارث. لأن النص الذي تكتبه لي يجب أن يعطيني الدليل بأنه يرغبني[1] ومن هنا ينبثق شعور المتلقي بالممارسة النصية الفاعلة التي تثمر ما يصطلح عليه بـ"اللذة النصية" فالخطاب اللغوي يتجسد باللغة عبر استعمالاتها المتعددة، وعناصرها وجملها المتنوعة، بغية تحقيق التواصل الفعلي وتبليغ المراد والمقاصد الدلالية بين المتكلم والمخاطب (أو المتلقي)، ولا يتأتى ذلك إلا بتوفر عناصر التخاطب الأساسية الضامنة لوظائف الإبلاغ، والاتصال والتفاعل الاجتماعي.

2- المبادئ التوليدية وتحويل البنى عند نوام تشومسكي:

في مقابل الطرح البنيوي السيميائي أسس اللساني الأمريكي **نوام تشومسكي** مفهوم الخطاب اللغوي استنادا إلى مبادئ الفطرية والتوليد، حيث قارب اللغة بوصفها نسقا رياضيا منظما قائلا: من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة من الجمل المتناهية أو غير المتناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومكونة من عناصر متناهية[2]، فاللغة في منظوره هي متوالية غير محدودة من الجمل، لكنها تبنى من رصيد محدد من العناصر والأصوات، ولشرح كيفية إنتاج هذا الخطاب وتلقيه، ارتكز "تشومسكي" على مفهومين جوهريين:

الكفاءة: وهي الخبرة اللغوية التي عدها تشومسكي: مجموع المعارف المكتسبة والباطنية ومجموع القواعد المخزنة في ذهنه، فهي تشمل المعرفة اللغوية الباطنية والمستبطنة للفرد،

[1] – رولان بارث، لذة النص، ترجمة: فؤاد صفا وحميد لحميداني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص 24.

[2] – نوام تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 21.

أي منظومة القواعد والآليات التجريدية التي تملكها فطريا واكتسابيا، وتمثل ما يعرف بـ"البنية الباطنية أو العميقة."

الأداء: وهو التجسيد الإجرائي للخطاب اللغوي التواصلي، والذي يتحرك وفق آليتي "التحويل والتوليد"، أي تحويل البنى العميقة التجريدية الكامنة في الفكر إلى بنى سطحية منطوقة ومكتوبة، إذ لكل جملة بنية سطحية وأخرى عميقة، فأما العميقة، فهي جملة العمليات التي يقوم بها الفكر، أي الجملة في مستواها التجريدي الكامن في فكر صاحبها، أما البنية السطحية فهي ما يستعمله الإنسان من جمل للتواصل[1].

ثانيا: الخطاب غير اللغوي:

2- ماهية الخطاب غير اللفظي ومظاهره السلوكية:

يعرَف الخطاب غير اللغوي بأنه عملية تواصل متكاملة تنهض على الإرسال والاستقبال التبادلي، ولكن دون استخدام الكلمات أو الملفوظات الصوتية، إذ يتم تمرير الرسائل عبر وسائط تعبيرية وجسدية متنوعة كالملامسة، وتعبيرات الوجه، والتقاء العيون، والإشارات، والرموز السيميائية، وهو ما يصطلح عليه بـ"ما وراء الكلام" ويستوعب هذا الخطاب كافة الرسائل التواصلية الحركية والسياقية، بما فيها تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية وترافقها لتوجيه معانيها، حيث «تتجلى مثلا عبر سلوك العين وتعبيرات الوجه، والإيماءات، وحركات الجسد وأوضاعه، والشم، واللمس، والذوق، والمسافة، والمظهر، والصوت، والوقت، ومفهوم الزمن[2]، وبناء على ذلك تصبح وسيلة التواصل غير اللغوي هي مجموع الإيماءات والإشارات والحركات الأنثروبولوجية والفيزيولوجية التي تعبر بدقة عما يبتغي المتكلم إبلاغه وإيصاله إلى رادار المتلقي.

---

[1]- نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993م، ص 15-25.

[2] - مارك نيب وجوديث هول، التواصل غير اللفظي في التفاعل الإنساني، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 311، 2005م، ص 24-30.

2- التحديد الاصطلاحي وقنوات التواصل عند "كلود مارتن":

نظرا لتداخل هذا الحقل المعرفي فقد تعددت مفاهيم وتعريفات التواصل غير اللفظي واختلف المختصون في تحديدها وحصرها وضبطها حيث اكتفى فصيل من الباحثين بتعداد قنوات هذا التواصل وأدواته العضوية بدلا من وضع حد تعريفي جامع له، غير أن الباحث **"كلود مارتن"** حاول تجاوز هذا الاختزال واجتهد في صياغة تعريف إجرائي واضح يرى فيه أن "التواصل غير اللفظي هو كل عامل يدخل في الظاهرة التواصلية، ولا ينتمي مباشرة بالشفوي والكتابي"[1]، وبذلك يستقر التواصل غير اللفظي بوصفه جملة من العوامل والوسائط التي تفتعل الفعل التواصلي وتديره عبر الإشارات والإيماءات والحركات، بمعزل تام عن القنوات الشفوية والكتابية التقليدية.

2- الريادة التراثية لـ "الجاحظ" في الفكر العربي:

بالرغم من حداثة الدراسات السيميائية الغربية التي أصلت للخطاب غير اللفظي، إلا أن الفكر البلاغي العربي قد سجل سبوقية معرفية لافتة في هذا المضمار؛ إذ لعل أول من اهتم بمجال التواصل غير اللفظي واستبطن أبعاده البلاغية هو "**أبو عثمان الجاحظ**"، والذي أفرد في مصنفاته (لا سيما في البيان والتبيين) لفكرة "الإشارة"، مؤكدا أن الحركات، والإيماءات، وأحوال الجسد تمثل دعامة أساسية، بل وشريكا موازيا للفظ في تحقيق التبين والتواصل الفاعل بين البشر وعبر المقامات المختلفة[2].

خلاصة:

يتضح في ختام هذه المحاضرة أن الخطاب يتجاوز مفهوم اللسان الساكن والمنظومة البنيوية المغلقة ليتوزع في الممارسة التواصلية على مسارين تعبيريين متكاملين، أولهما ثنائية لغوية توليدية تتحرك ديناميكيا بتعبير نوام تشومسكي بين بنية عميقة ذهنية تمثل المخزون التجريدي للقواعد الكامنة في الفكر(الكفاءة)، وبنية سطحية أدائية تتجسد في المتون

---

[1] – كلود مارتن، التواصل غير اللفظي، تر: منيرة أحميد، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1992م، ص 45.

[2]– الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر(، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ج1، ص 76.

المنطوقة والمكتوبة لتسيير التواصل (الأداء)، وثانيهما ثنائية غير لغوية، حركية وسياقية، ترفد القول اللفظي وتمنحه طاقته التداولية والبيانية، حيث تتضافر قنوات "ما وراء الكلام" من إيماءات، وتعبيرات الوجه، والمسافات المكانية لتشكل شريكا حقيقيا في تشفير الرسائل وفكها بعيدا عن القوالب النحوية الصرفة، إن هذا التكامل بين اللفظ والإيماء يبرهن على أن العملية التواصلية هي نشاط إنساني كلي تتضافر فيه أنساق اللغة، وتحركات الجسد، وملابسات السياق لإنتاج المعنى وتوجيهه، فالخطاب سواء أكان أثرا أدبيا يحدث "اللذة النصية" عند بارث، أم ملفوظا إيمائيا يجمع بين اللفظ والإشارة عند الجاحظ لا يمكن مقاربته بمعزل عن محيطه التداولي والمقامي الذي يمنحه مشروعيته وقوته التأثيرية في وعي المتلقي.

المحاضرة العاشرة

مقاربات تحليل الخطاب1 (الخطاب بوصفه مستوى فوق الجملة)

مدخل:

تتأسس مقاربات مفاهيم الخطاب في الدرس اللساني الحديث على تضافر آراء مجموعة من الدارسين والباحثين الذين أولوا هذه الظاهرة عناية بالغة، محاولين استنطاقها من زوايا نظر وخلفيات معرفية مختلفة ومتنوعة، وقد آثرنا في هذا السياق المعرفي أن نعالج مسألة الخطاب برصد هذا التعدد المنهجي، ومحاولة الإحاطة بشتى جوانب العملية التخاطبية وتغطية أبعادها وفق رؤى متباينة، فمنها ما اتسم بالطابع الشكلي الصرف، ومنها ما غلب عليه المنحى النصي، ومنها ما غاص في الأبعاد الدلالية والإبستيمية، وغيرها من وجهات النظر والمقتربات النقديّة التي تصادفنا عند التعامل مع هذه المحاور الاستقصائية، وتأتي في طليعة هذه المقاربات اللسانية، وتحديدا في شقها الهيكلي البنيوي، رؤية المدرسة التوزيعية الأمريكية وعلى رأسها رائدها ومؤسسها زاليغ هاريس، الذي يمثل نقطة الانطلاق الحقيقية في دراسة الخطاب بوصفه امتداداً يتجاوز الوحدات اللسانية التقليدية الصغرى.

أولا: مقاربة زليغ هاريس (Harris Zellig) للخطاب وتوسيع النمط البنيوي:

تعتبر المدرسة التوزيعية من أولى المدارس اللسانية التي اشتغلت بجدية على توسيع نمط دراستها وآلياتها الإجرائية، حتى وإن بدا للوهلة الأولى أنها ركزت بشكل أساسي على الجوانب الشكلية المحضة للغة وعلى تفريعاتها النسقية المختلفة، ومع ذلك فقد استطاع رائد هذه المدرسة وعالمها الأبرز "زاليغ هاريس" أن يقف عند مصطلح الخطاب وقفة تأمل وتحليل عميقة، وتمكن من صياغة تعريف اصطلاحي دقيق يتماشى تماما مع مبادئ توجهه البنيوي وقواعده الصارمة، حيث نص على أن: "الخطاب ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في شكل لساني محض".

ثانيا: التلفظ الهاريسي وتقاطعاته مع الدائرة الكلامية السوسيرية:

بناء على هذا المنظور التوزيعي، فإن عملية التلفظ وآلياتها التوافقية عند هاريس تتقاطع بشكل مباشر مع ما يعرف في الأدبيات اللسانية عند "فرديناند دي سوسير" "بالدائرة الكلامية"، حيث تفترض هذه الدائرة بصفة أساسية وجود شخصين فاعلين في العملية التواصلية هما المتكلم والمستمع، بحيث يتبادلان الأدوار والوظائف التخاطبية بصفة تبادلية، ففي الوقت الذي يكون فيه الطرف الأول في حالة تكلم وإرسال، يكون الطرف الثاني حتما في حالة استماع وتلق، وإذا ما تحول الأول إلى حالة الاستماع بادر الثاني إلى حالة التكلم وهكذا دواليك وطبيعي أن تتخلل هذه التبادلات المستمرة بين التكلم والاستماع فترات زمنية متقطعة يغلب عليها الهدوء، الصمت، والتفكر، وهي فترات ضرورية تخصص لفك تشفير الرسائل ولتحصيل الفهم المعرفي المشترك وبلوغ المقاصد الإبلاغية.

ثالثا: **الجسور التحويلية والخطاب كمقابل للجملة:**

بعد المخاض العلمي والمنهجي العسير الذي مرت به اللسانيات في أواسط القرن العشرين، واحتدام الاختلاف بين اللسانيين حول تحديد الموضوع الحقيقي والأوحد لها، وما تزامن مع ذلك الحراك من بزوغ أفكار وطروحات جديدة تدور حول مفاهيم الجملة، الملفوظ، والعبارة، وحدود بداية هذا المصطلح ونهاية ذاك، شكلت طروحات زاليغ هاريس البداية الفكرية الحقيقية للنقد البناء الموجه للسانيات سوسير البنيوية، إذ يعتبر هاريس من السباقين الذين طرحوا مفهوم الخطاب ليكون مقابلا نظريا وإجرائيا لمفهوم الجملة مرسخا فكرة أنه: "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في شكل لساني محض"[1]، ومن هذا المنطلق فإن ما يمكن تطبيقه على الجملة من قوانين بنيوية يمكن سحبه وتطبيقه على الخطاب، على اعتبار أن الخطاب في جوهره ما هو إلا "جملة كبيرة" قابلة للتجزئة والتقسيم إلى بنى صغرى ترتبط بدلالات معينة ومحددة في سياق الاستعمال الفعلي، وهو الطرح التأسيسي الذي اتكأ عليه وعمل على تطويره لاحقا "نوام تشومسكي" في

[1]– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997م، ص 17.

نظريته التوليدية التحويلية أو كما طرحه قبله "ليونارد بلومفيلد" في إطار المدرسة السلوكية، لتغدو طروحات "هاريس" بمثابة جسر رابط ومتين يصل بين السلوكية والتحويلية التوليدية، مؤكدة دورها الحاسم في تطوير الدرس البنيوي الأمريكي في المراحل اللاحقة.

رابعا: دراسة النظام وتجاوز القصور السوسيري نحو النواة البلومفيلدية:

لقد قدم "هاريس" مفهوما جديدا وثوريا لدراسة الجملة باعتبارها نظاما وبنية قائمة بذاتها، وليس مجرد تتابع آلي من الوحدات اللغوية الصغرى، وهو المفهوم السطحي الذي قدمته اللسانيات السوسيرية للنظام حين عدته مجرد تتابع لمجموعة من الوحدات اللغوية المترابطة بنوعين من العلاقات: علاقات تركيبية على محور التركيب، وعلاقات استبدالية على محور الاستبدال، ومن هنا اتسم طرح هاريس لدراسة الجملة بسمات الشمولية والعمق مقارنة بطرح "سوسير"، الأمر الذي أفضى بشكل طبيعي إلى تولد وظهور مصطلح "الخطاب" كبديل حتمي، نظرا لكون الجملة قاصرة "على أن تكون جديرة بأن تكون موضوعا للدراسة اللسانية بمفردها"[1]، وبذلك تحولت الجملة في العرف التوزيعي إلى خطاب صغير، في حين تحول الخطاب الكبير إلى جملة كبرى.

ونتيجة لهذا التحول، أخذ مفهوم الخطاب بعدا جديدا ومستحدثا عند "هاريس" حيث أصبح بمقدور الدارسين لأول مرة الحديث علميا عما هو خارج عن نطاق البنية المباشرة للخطاب، ورصد علاقة ذلك بالدلالة الفوقية، حتى وإن كانت تلك الدلالة لا تخرج تماما عن إسار البنية ونطاقها المعاير، فتحول الخطاب تبعا لذلك إلى مرادف حقيقي للملفوظ، وبات أهلا لأن يكون موضوعا مستقلا لعلوم اللسانيات ما دمنا قادرين على إخضاعه وتطبيق معايير لسانيات الجملة عليه، ومما لا شك فيه أن الجملة ظلت تمثل النموذج الأسمى والأعلى في جل الدراسات اللسانية حتى أعلن "بلومفيلد" الذي طور "هاريس" أفكاره ومقارباته في الخطاب أن: "الجملة هي الوحدة اللسانية الكبرى"، أي أنها تشكل النواة المركزية والمنطلق الأساسي الذي نرتكز عليه في دراساتنا الموسعة للخطاب، بعد أن كانت الجملة تمثل منتهى الحدود ومصب الدراسات في اللسانيات السوسيرية التقليدية، ليرتبط الخطاب

[1] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، بالاشتراك مع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 68.

إثر ذلك بظواهر ومؤشرات أخرى غير لسانية من أبرزها وأكدها "الإحالة القبلية والإحالة البعدية"[1]، التي تمثل في كليتها مجموع السياقات الحيوية المنتِجة والمتلقِية للخطاب.

خلاصة:

ومن خلال هذه المعاينة المعرفية الشاملة نخلص إلى أن إرهاصات تبلور مفهوم الخطاب قد ارتبطت في مهدها الأول بقفزة منهجية قادتها اللسانيات التوزيعية الأمريكية تحت لواء "زاليغ هاريس" وتطويرات "ليونارد بلومفيلد" فقد تمكنت هذه المدرسة عبر أدواتها الشكلية الصارمة من كسر الطوق الذي فرضته البنيوية السوسيرية التقليدية، والتي كانت تحصر موضوع اللسانيات الحقيقي داخل أسوار الجملة الواحدة، وبذلك تحول الخطاب من مجرد ملفوظ لغوي عابر إلى مسرح تلتقي فيه متتاليات الجمل لتشكل "بنية كبرى" منغلقة ومحكومة بقواعد النسق التوزيعي.

إن القيمة الإبستمولوجية الجوهرية لطروحات هاريس تكمن في كونها لم تكتفِ بتوسيع حدود الوحدات اللسانية، بل إنها أعادت هندسة العلاقة بين البنى الصغرى والبنى الكبرى، جاعلة من الخطاب امتدادا موازيا للجملة ومحققا لشروط "الدائرة الكلامية" التبادلية بين الباعث والمتلقي، هذا الانتقال من لسانيات الجملة الصرفة إلى أفق الخطاب بوصفه مستوى تعبيريا فوق–جملي، قد شكل في واقع الأمر الجسر النظري والمعبر الأساسي الذي عبرت فوقه السلوكية اللغوية لتلتقي باللسانيات التحويلية والتوليدية مع "نوام تشومسكي" مما يبرهن على أن تتبع السياقات الحافة بالخطاب، والإحالات القبلية والبعدية، رغما عن صبغتها الشكلية في هذا المقترب، قد فتحت الباب على مصراعيه لظهور علم النص الحديث والتحليلات التداولية والسيميائية اللاحقة التي جعلت من الخطاب كائنا حيا يتجاوز الرص الآلي للكلمات إلى رحابة إنتاج المعنى داخل البيئة التواصليّة الإنسانية الكلية.

---

[1] – بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، وحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، 2008م، ص 56.

المحاضرة الحادية عشرة:

مقاربات تحليل الخطاب 2 (الخطاب بوصفه وحدة دلالية)

مدخل:

شهدت مسارات البحث اللساني المعاصر انعطافه إبستمولوجية بارزة حولت مركز الاهتمام النقدي من الأطر الشكلية والنحوية المغلقة التي ميزت "لسانيات الجملة" التقليدية، نحو آفاق السيميائيات وتداوليات النص الرحبة، ولم يعد الخطاب في ضوء هذا التحول مجرد متتالية تتابعية من البنى السطحية المجرّدة، بل أعيد الاعتبار لـ"الدلالة" بوصفها المحرك الأساسي لإنتاج المعنى واستكشاف مقاصد التخاطب البشري، يتأسس هذا المنظور على فرضية أن النص كينونة حية تُبنى دلاليا من خلال شبكات التشاكل والانسجام، وتتحرك مقاميا في فضاء موضوعاتي يراعي الفجوة القائمة بين منطوق اللسان والمقصد الذهني العابر، وتسعى هذه المحاضرة إلى تتبع المعالم المركزية لهذا الطرح الدلالي، بدءا من أطروحة التشاكل السيميائي عند غريماس، مرتدة إلى الجذور الوظيفية لمدرسة براغ، وصولا إلى المعمارية الهرمية ونظرية البنى الكبرى والفوقية التي صاغها "توين فان دايك" في علم النص الحديث.

أولا: الاستقطاب السيميائي وآليات الانسجام عبر "التشاكل الدلالي" عند غريماس:

تتخذ المقاربة السيميائية عند "أليغرداس غريماس" مسارا يبحث في عمق النص عن القوانين المتحكمة في توليد الدلالة وتأمين انسجامها، حيث يمثل مفهوم "التشاكل الدلالي " الركيزة الأساسية التي تسمح بقراءة النص بوصفه وحدة دلالية متماسكة، ويتأسس هذا التشاكل على تكرار الوحدات الدلالية الصغرى أو ما يعرف بـ"السمات الدلالية" على طول الخطاب، مما يخلق نوعا من الاستقطاب المعنوي الذي يوجّه عملية التلقي نحو أفق تأويلي موحد.

إن الانسجام في هذا المنظور السيميائي لا ينبثق من التتابع الخارجي للجمل، بل يولد من الشبكة الباطنية للعلاقات التي تنسجها هذه التكرارات المتواترة، إذ يعمل التشاكل كخيط ناظم يربط بين المكونات السطحية للخطاب وبنيته العميقة، وبذلك يساهم الاستقطاب

السيميائي في رأب الصدع الدلالي وتجاوز التشتت اللفظي، مانحا النص كفايته النصية وتجانسه الموضوعاتي الذي يمنع انزلاق المعاني أو تضاربها أثناء عملية التفكيك والقراءة[1].

تطور البحث في مفهوم الخطاب وتداخلت دلالاته، وانتقل الاهتمام شيئا فشيئا من الجوانب الشكلية والنحوية المجردة إلى مستوى الدلالة، وقد تطور هذا الطرح مع غريماس على وجه الخصوص، حيث طرح مفهوم الانسجام من خلال البحث في الضمائر على المستوى الدلالي، ويرجع إليه الفضل في البحث عن التكرارات المعنوية التي تحملها الوحدات اللغوية المكونة للنص أو الخطاب، "مما يشكل شبكة من العلاقات المنتجة للانسجام، وفي هذا الإطار يتحدد مفهوم النص بعده نسقا متكونا من واحد إلى ما لا حد له من التشاكلات الدلالية"، على الرغم من أنها لا تكون كافية لتحديد دلالة النص أو الخطاب إن لم تشترك مع معاني مكررة في السياق نفسه.

ثانيا: بنية المقاربة الموضوعاتية ومؤشرات مدرسة براغ اللسانية:

يذهب أصحاب هذا الطرح إلى أن "وصف دلالة النص من حيث إنه بنية موضوعاتية يمثل منهجا آخر لضبط التناسق الدلالي، تتحدد بحسبه الوحدة الدلالية الصغرى لا في المعنى ولكن في زوج المتحدث عنه والمتحدث به" ويرجع هذا المفهوم في أصله المعرفي إلى المنهج الوظائفي للجملة التابع لمدرسة براغ اللسانية، فكان أصحاب هذا الاتجاه أول من وظف هذا المقترب لدراسة بنية النص الدلالية، وبالخصوص في دراسة تقدم الوصف الموضوعاتي، ولذلك كان تطبيق هذا المنهج أقل صعوبة وتعقيدا من تطبيق المفاهيم النحوية التي تتعلق بالمعيار النحوي أكثر من اهتمامها بالجانب الدلالي[2].

تستمد المقاربة موضوعات جيلها المفهومية والمنهجية من الأطروحات الوظيفية المبكرة التي أرست دعائمها مدرسة براغ اللسانية، وتحديدا من خلال نظرية "التحليل الوظيفي

---

[1]– رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص ص 142–144.

[2] – بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، وحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، 2008م، ص 57.

للجملة حيث كان لعلماء هذه المدرسة، وفي طليعتهم "فيليم ماثيسيوس" السبق في تفكيك البنية الثنائية للملفوظ والخطاب، وتتأسس هذه المقاربة على تجاوز النظرة النحوية المعيارية الجامدة للجملة، عبر تقسيمها دلاليا وتداوليا إلى عنصرين متلازمين هما: "**المنطلق**" أو المحور: وهو يمثل (المتحدث عنه/المعطى القديم المشترك)، و"**الأساس**" أو الإخبار: وهو يمثل (المتحدث به/المعطى الجديد المستهدف)، وقد وفر هذا التمييز الوظيفي لمدرسة براغ مؤشرات إجرائية بالغة الأهمية لدارسي تحليل الخطاب، إذ سمح بنقل وصف التناسق الدلالي من إطار المفردات المعزولة إلى فضاء المتواليات النصية، حيث يتحدد تماسك الخطاب بكيفية نمو وتتابع هذه الثنائيات وتوالدها هرميا، مما يجعل من المقاربة الموضوعاتية أداة لسانية مرنة وأقل تعقيدا في استكشاف النسيج الدلالي للمتون مقارنة بالقواعد النحوية الصرفة[1].

ثلثا: ثنائية (المتحدث عنه والمتحدث به) وإشكالية الفجوة الدلالية:

تتخذ إشكالية الفجوة الدلالية في الخطاب بعدا براغماتيا (تداوليا) يتجاوز حدود الوصف البنيوي الساكن، حيث تتجلى بوضوح عند فحص ثنائية (المتحدث عنه والمتحدث به)، إذ إن الممارسة اللغوية الفعلية تؤكد أن المتلفظ غالبا ما يتحرك في مساحة تفصل بين "المستوى المقالي" الصريح و"المستوى المقامي" المبطن وتنشأ هذه الفجوة عندما يعجز الرصف الآلي للجمل عن استيعاب تمام المقاصد الذهنية للمتكلم، مما يولد تباعدا دلاليا بين ما يقال منطوقا وبين ما يقصد إنجازا، هذا التباين التداولي يضع عبئا تأويليا على المتلقي الذي لا يكتفي بفك الشفرات اللغوية السطحية، بل يصبح مطالبا باستنطاق السياق التخاطبي ورصد القرائن الحافة بالعملية التواصلية لرأب صدع هذه الفجوة والوصول إلى البنية العميقة والمرامي الحقيقية الكامنة وراء السطور[2].

---

[1] – عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009م، ص ص 84-86.

[2] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 42.

ومع ذلك لا تخلو هذه الفسحة الدلالية التي أقرها أصحاب هذا التوجه خاصة في تمييز الوحدات الموضوعاتية بين ما هو متحدث عنه وبين ما هو متحدث به، من إشكالات تداولية ومقامية تعيق الفهم المباشر، على اعتبار أن ما نقوله باللسان لا يعبر في كثير من الأحيان عما نريد قوله حقا في أنفسنا، وبالتالي قد يحدث اختلاف دلالي وفجوة عميقة بين ما نريد قوله وبين ما نقوله فعلا، وبين ما قصده المتكلمون في ذواتهم وبين ما فهمه واستوعبه المتلقون، وينتج عن ذلك صعوبة في ترتيب المواضيع التي تعيق الوصول السلس إلى البنية العميقة الكامنة التي يدل عليها الخطاب ولا يصرّح بها بأسلوب مباشر.

رابعا: المعمارية الهرمية للنص (البنى الصغرى، الكبرى، والفوقية) عند توين فان دايك:

من أبرز الدارسين الذين طوروا هذا البعد الموضوعاتي نجد الباحث الهولندي ومؤسس علم النص الحديث توين فان دايك، الذي ميز بدقة بين بنى النص الصغرى وبنى النص الكبرى، مستلهماً هذا الفرز من التمييز المعتمد في نظرية النحو التحويلي التوليدي بين البنى السطحية والبنى العميقة، واعتبر "فان دايك" أنه يمكن تنسيق قضايا النص في مستويات هرمية متسقة، بحيث تكوّن بعض القضايا الصغرى قضية جديدة كبرى، ويمكن أن تصبح هي الأخرى جزءا من قضية كبرى للمستوى الذي يقع فوقها.

ثم يقترح "فان دايك" مفهوم "البنية الفوقية" التي تختص بالشكل العام وبنمطية النص البنائية لا بالمعنى الصرف، ويقدم نماذج واضحة للبنية الفوقية تختلف باختلاف الجنس التعبيري كالنص السردي، والنص الحجاجي، والمقال العلمي، وتتمثل القيمة العلمية والإجرائية لهذا الطرح في بيان منهج واضح وصارم للترتيب بين مواضيع النص المختلفة، وإبراز الموضوع الأساسي السائد لنص ما[1].

خلاصة:

تأسيسا على ما سلف يتضح أن مقاربة الخطاب بوصفه وحدة دلالية وموضوعاتية قد منحت الدرس اللساني عمقا تداوليا وسيميائيا يتجاوز الطرح الشكلي التوزيعي التتابعي، فالخطاب في ضوء هذا المنظور المستجد لم يعد مجرد متوالية إجرائية من الجمل المنغلقة

[1]– بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص ص 58–61.

هيكليا، بل استحال بنية دلالية منسجمة ومحكومة بالتشاكلات المعنوية وسياق المقام التواصلي.

إن القيمة العلمية لهذه المحاضرة تتبدى في رصد كيفية تجاوز عتبات الأشكال السطحية الصرفة، حيث فتحت إسهامات غريماس الباب لفهم الانسجام عبر شبكات الضمائر والتكرارات المعنوية، في حين وفّرت أطروحات مدرسة براغ الوظيفية أدوات تمييز دقيقة بين زوج "المتحدث عنه والمتحدث به" لرأب الفجوة الدلالية القائمة بين المقاصد الذهنية والملفوظات اللسانية، وقد بلغت هذه القفزة المنهجية ذروتها الإجرائية مع المعمار النصي الهرمي لـ "توين فان دايك"، الذي سمح بتفكيك المتون عبر تكامل قضايا البنى الصغرى المحلية مع المحاور الكبرى المهيمنة، وتأطيرها ضمن أنساق البنى الفوقية الصانعة لنمطية النصوص (سردية، حجاجية، علمية)، وبذلك تضافرت السيميائية الأوروبية مع علم النص الحديث لإنتاج أدوات منهجية قادرة على استنطاق الخطاب، واستخراج بنيته العميقة المبطنة، والوصول إلى موضوعه الأساسي الكامن وراء السطور.

المحاضرة الثانية عشرة:

مقاربات تحليل الخطاب (الخطاب بوصفه فعلا لغويا)

مدخل:

شهدت الساحة اللسانية والنقدية في النصف الثاني من القرن العشرين مراجعات إبستمولوجية كبرى، تجاوز من خلالها الدارسون إسار المقاربات الشكلية والبنيوية الصرفة التي رهنت الظاهرة اللغوية داخل أسوار "الجملة" لعقود طويلة، وتجلت هذه المراجعات في ضرورة مواكبة التحولات الفكرية والفلسفية التي سادت أوروبا وأمريكا، والتي أعادت الاعتبار لـ"السياق" و"المقام" وأطراف العملية التواصلية، وفي هذا الفضاء المعرفي الجديد بزغت نظرية الأفعال الكلامية لتحدث أثرا بالغا وعميقا في حقل لسانيات الخطاب، إذ لقيت ترحيبا خاصا من اللدنيين لكونها جعلت من "الإطار التواصلي التفاعلي" مركزا لاهتمامها، ملبية بذلك حاجة الدرس اللساني المعاصر إلى البعد البراغماتي (التداولي) الذي افتقرت إليه المناهج البنيوية والتوزيعية التقليدية، وتسعى هذه المحاضرة إلى مقاربة الخطاب في ضوء هذا المنظور التداولي الإيجازي، من خلال الوقوف عند طروحات اللغوي "كلاوس برينكار" الذي أعاد قراءة المتن النصي بوصفه شبكة هرمية من الأفعال اللغوية الهادفة.

أولا: المقاربة التداولية لـ "كلاوس برينكار" وهرمية المقاصد:

يعتبر اللغوي كلاوس برينكار من الطليعيين الأوائل الذين انفتحوا بمرونة علمية على الجانب التداولي والبراغماتي للخطاب؛ إذ لم يعد يرى في النص مجرد رص للوحدات النحوية، بل اعتبر الخطاب "وحدة تواصلية هي بمثابة فعل لغوي يتصف بالوظيفة التواصلية يسميها وظيفة النص"[1]، غير أن "برينكار" يضع تفريقا إجرائيا مهما، فالخطاب إذا ما تجاوز طوله حدود القضية الواحدة يتحول إلى "فعل لغوي مركب"، ومن هذا المنطلق اتجه اهتمام لسانيي الخطاب نحو تفكيك وبناء "المقصود بالقول" ليستحيل الخطاب في هذا الطرح

[1]– كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005م، ص 19.

إلى سلسلة متكاملة من الأفعال اللغوية التي يرتبط بعضها ببعض على أساس بنية هرمية تنفذ إلى عمق النص، بحيث يمكن تعيين "فعل لغوي أساسي" مهيمن يختزل النص ككل[1].

ثانيا: آليات التوجيه البراغماتي بين القرائن اللغوية والسياقية:

يتأسس التوجيه البراغماتي (التداولي) للخطاب على إقامة توازن حركي مستمر بين مكونين رئيسيين: البنية اللغوية الصريحة، والمحيط السياقي الحاف بالعملية التواصلية فالقرائن اللغوية (كالروابط، والضمائر، والصيغ الزمنية، والأدوات النمطية) تعمل بمثابة مؤشرات نصية أولية توجه ذهن المتلقي نحو المقصد الإنجاز، غير أن هذه المؤشرات لا يمكنها تحقيق كفايتها البلاغية بصفة معزولة، ومن هنا تبرز أهمية القرائن السياقية والمقامية (كالهوية التخاطبية لأطراف التفاعل، والخلفية المعرفية المشتركة، والظروف المكانية والزمانية)، والتي تتدخل بوصفها عنصرا حاسما في ترجيح المعنى المراد وإزالة اللبس عن المنطوق، إن آليات التوجيه البراغماتي تبين في جوهرها أن إنتاج الخطاب وفك تشفيره لا يخضعان لرص القواعد النحوية الساكنة، بل يتحددان عبر التفاعل الحي بين منطوق اللسان ومقتضى الحال، حيث تمنح القرائن غير اللغوية أبعادا مقصديه تضفي على النص صبغته الإنجازية والتأثيرية في بيئته التفاعلية[2].

ومع هذا التأصيل الهرمي للأفعال يلاحظ "برينكار" أن عملية تحديد هذه "الوظيفة النصية الكلية" تظل خاضعة لمقاييس تستدعي التفكيك، نظرا لأن القرائن الدالة على الوظيفة المذكورة لا تنحصر في الأنماط المقالية الصرفة، بل تتوزع بين قرائن لغوية تركيبية، وقرائن غير لغوية وثيقة الصلة بالإطار التواصلي والمقامي المحيط بالباث والمتلقي، بل إن "برينكار" يذهب إلى أبعد من ذلك حين يقرر أن القرائن غير اللغوية والسياقية قد تحظى في كثير من الأحيان بأهمية وقيمة أكبر في تحديد المقاصد والأهداف البراغماتية الكامنة وراء المنطوق.

---

[1]– بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 62.

[2] – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م، ص ص 65-67.

ثالثا : الأبعاد الإجرائية وتصنيف وظائف الخطاب عند برينكار:

تأسيسا على المبادئ التداولية لنظرية الأفعال الكلامية، وضع "برينكار" تصنيفا نظاميا لوظائف الخطاب، مستلحما إياه من الأقسام الخمسة الشهيرة التي صاغها الفيلسوف التداولي "جون سيرل"، وبناء على ذلك تتحدد وظائف الخطاب عند "برينكار" وفق خمسة أقسام كبرى هي: **وظيفة الإخبار**: المتعلقة بنقل المضامين المعرفية والوقائع.

وظيفة الطلب: الرامية إلى توجيه سلوك المتلقي وحثه على الفعل.

وظيفة الالتزام: التي يربط فيها المتكلم نفسه بمسؤولية فعل مستقبلي.

وظيفة الاتصال: الهادفة إلى تأسيس العلاقات الاجتماعية وتأكيد قنوات التواصل.

وظيفة الإعلام: التمظهر الإبلاغي العام للرسالة[1].

رابعا: الانعطاف المنهجي والموازنة بين البنيوية والبراغماتية:

لقد نجح هذا الطرح التداولي في عكس الاتجاه التقليدي للنظرة المنهجية المعيارية، فبينما كانت اللسانيات البنيوية ترتب أبحاثها صعودا من الجملة الصغرى إلى النص والخطاب، أصبحت المقاربة البراغماتية تسير نزولا من الكلية الخطابية إلى الوحدات النصية مرتكزة على الجانب الوظائفي للوحدات اللغوية المكونة للمتن، والتي ينبغي لها أن تكون خادمة للغاية الأسمى وهي "التحقيق التواصلي" للخطاب، وليس مجرد الاستعراض الشكلي أو الهيكلي المغلق. وما يمكن استنتاجه في هذا المضمار، أن أطروحة برينكار تقوم أساساً على محاولة واعية للموازنة والتوفيق بين الطرح البنيوي الميكانيكي الذي طورته اللسانيات، وبين الطرح البراغماتي الوظيفي، فالخطاب عنده وحدة متناسقة من العلامات اللغوية التي تؤدي وظيفة تواصلية بمفهومها الشامل، والمنظومة البنيوية للغة لا تفسر في حقيقتها إلا من خلال وظيفتها البراغماتية ولإنجازيه في الواقع الاجتماعي.

يمثل الانتقال من المقاربات البنيوية الصرفة إلى الأفق البراغماتي (التداولي) انعطافا منهجيا حاسما في مسار اللسانيات المعاصرة، إذ لم يعد الخطاب يقارب بوصفه نسقا لغويا

[1] – – بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، ص 63.

مغلقا ومعزولا عن بيئته الحيوية، بل أضحى كائنا تواصليا يتحدد معناه من خلال ممارسته الفعلية، ومع ذلك فإن هذا التحول لم يتأسس على قطيعة معرفية كاملة مع الإرث البنيوي، بل ركز على إحداث نوع من الموازنة والاقتران المنهجي بينهما، فالتحليل التداولي لا يلغي القوانين الهيكلية والروابط التركيبية التي صاغتها البنيوية، وإنما يعيد استثمارها وتوجيهها بوصفها ركائز نصية تخدم المقاصد الإنجازية وأهداف التفاعل البشري، إن هذه الموازنة النقدية تبرهن على أن بنية اللغة الساكنة لا تكتسب قيمتها الحقيقية ولا تؤدي وظيفتها البلاغية إلا عندما تفسر في ضوء شروطها البراغماتية ومقتضيات المقام الحاف بها، مما يمنح تحليل الخطاب أبعادا متكاملة تجمع بين انضباط النسق الهيكلي وحركية النشاط الإنساني[1].

خلاصة:

أن مقاربة الخطاب بوصفه "فعلا لغويا" قد مثلت حجر الزاوية في الانتقال بالدرس اللساني من التوصيف الهيكلي الساكن إلى التحليل التداولي الحركي، فلم يعد الخطاب في ضوء رؤية كلاوس "برينكار" ومحددات نظرية الأفعال الكلامية مجرد وعاء لترصيف القضايا النحوية، بل غدا سياقا إنجازي متكاملا يتحدد معناه من خلال ما يحدثه من أثر وتغيير في الفضاء التواصلي.

إن الأهمية الإبستمولوجية لهذا الطرح تكمن في مقدرته على صياغة "معمارية هرمية" للأفعال الكلامية المركبة، حيث تندمج الأفعال اللغوية الصغرى والقرائن المقامية (اللغوية وغير اللغوية) لتخدم في كليتها "فعلا لغويا أساسيا" يهيمن على النص ويوجه مقاصده البراغماتية، ومن خلال تبني تصنيفات جون سيرل الخماسية (الإخبار، الطلب، الالتزام، الاتصال، الإعلام)، نجح "برينكار" في صهر الجانب الشكلي البنيوي داخل البوتقة التداولية، مؤكدا أن بنية اللغة لا تكتسب شرعيتها العلمية ولا تؤدي دورها البلاغي إلا إذا نظر إليها بوصفها أداة حية للفاعل الإنساني، تهدف بالدرجة الأولى إلى التخاطب، والتأثير،

[1]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1996م، ص ص 91-93

وتحقيق المقاصد الحيوية كنشاط كلي تتضافر فيه العلامة اللغوية مع المحيط المقامي بامتياز.

المحاضرة الثالثة عشرة

مقاربات في مفهوم الخطاب (الخطاب بوصفه تقاطعا من المعارف)

مدخل:

شهدت المفاهيم اللسانية والنقدية المعاصرة المنضوية تحت لواء "النص والخطاب" توسعا إبستمولوجيا هائلا، استعصت معه هذه المصطلحات على التحديد الأحادي والاستيعاب الضيق وذلك إبان خروجها الحتمي عن الحدود النصية والأدبية التقليدية، وانفتاحها المرن على معارف وفلسفات بينية أخرى تتقاطع مع الدراسات اللسانية والنقدية كليا أو جزئيا وتأتي في طليعة هذه المقاربات المستحدثة "الرؤية العرفانية" التي تنظر إلى النص أو الخطاب بوصفه توافقات وتمثيلات عرفانية متباينة تترجم في مجملها وبنيتها الكلية تصور المنتج لجزء من الواقع المشهود، فالخطاب في هذا الضوء يعد نتاجا لخبرات وتجارب إنسانية كثيرة تتخمر في الذهن لتشكل في نهاية المطاف متنا محملا بدلالات منسجمة، تتداخل في هندستها بنى مستمدة من الواقع تارة، ومن الفكر والذات والجمالية والفلسفة تارة أخرى، وهي بنى ترتبط جميعها بمتعلق مركزي واحد هو "المعرفة اللغوية" بمفهومها التوليدي المعاصر.

أولا: المقاربة العرفانية للخطاب وتخمر الخبرات الذهنية:

توسع مفهوما النص والخطاب حتى استعصيا على التحديد والاستيعاب لما خرجا عن الحدود النصية والأدبية، وانفتح كل منهما على معارف وفلسفات أخرى تتقاطع مع الدراسات اللسانية والأدبية والنقدية كليا أو جزئيا، ومن تلك المعارف والرؤى نجد الرؤية العرفانية التي تنظر إلى النص أو الخطاب على أنه توافقات عرفانية مختلفة تترجم في مجملها تصور المنتج لجزء من الواقع[1]، هذا الواقع الذي ينطوي على معارف وخبرات كثيرة تتخمر في الذهن لتشكل في نهاية الأمر خطابا محملا بدلالات منسجمة، تداخلت في تشكيلها بنى كثيرة مستمدة في بعضها من الواقع، وفي بعضها الآخر من الفكر، وأخرى من الذات

[1] – بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، وحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، 2008م، ص 68 وما بعدها.

والجمال والفلسفة والتي ترتبط جميعها بمتعلق واحد هو اللغة، أو "المعرفة اللغوية" كما ينعتها "نوام تشومسكي في كتاباته اللسانية"، ويتحقق هذا التماسك الدلالي عبر جملة من الآليات الإدراكية التي تفسر حركية النص؛ حيث تسعى اللسانيات العرفانية إلى ما يلي:

تجاوز الشكل إلى الإدراك: تنتقل اللسانيات العرفانية بالخطاب من حدود الأشكال اللفظية والنحوية الصرفة إلى فضاء الأنشطة الذهنية والتمثيلات الإدراكية للإنسان.

تخمر الخبرات والخطاطات الذهنية: لا ينبثق الخطاب من استدعاء آلي للقواعد، بل هو نتاج لتفاعل البنى اللسانية وتخمر التجارب الحياتية المخزنة في الذاكرة على هيئة "خطاطات معرفية."

الخطاب كوسيط رؤيوي: يستحيل النص وسيطا حيويا تعكس من خلاله الذات المتكلمة رؤيتها للواقع المحيط بها وترجمتها للعالم.

شراكة عرفانية في التلقي: لا يتوقف النشاط العرفاني عند المنتج (الباث)، بل يشمل المتلقي الذي يعيد بناء المعنى وفك تشفير الخطاب بالاعتماد على نفس الآليات الإدراكية والخلفيات المعرفية المشتركة[1].

ثانيا: مقاربة " أوجينيو كوزيريو " وثنائية المعرفة البشرية:

في هذا السياق التقاطعي ربط اللغوي "أوجينيو كوزيريو" بين معرفة اللغة ومعرفة الإنسان، ودعا إلى ضرورة التفريق المنهجي بينهما، حيث شدد على لزوم التفرقة الحاسمة بين "القدرة اللغوية العامة" بوصفها ملكة وقدرة إنسانية فطرية ومطلقة، وبين "القدرة اللسانية الخاصة" المتعلقة بلسان معين من الألسنة البشرية المتواضع عليها. وتأسيساً على هذا الفرز النظري، ميز "كوزيريو" بين ثلاثة مستويات معرفية تتداخل في صناعة الخطاب وتحليله وهي:

[1]– الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات العرفانية، ترجمة: مصطفى غلفان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م، ص ص 54–56

المستوى الأول (المستوى الكلي): ويتعلق بالقدرة على الكلام بصفة عامة، وهي طاقة بشرية تتجاوز حدود معرفة لسان معين، وتختص هذه القدرة اللغوية العامة على حد تعبيره بـ"المعرفة بالعبارة"، والتي تبدأ إجرائيا من خلال قدرة الذات التخاطبية على التمييز بين (المقول والمقصود)، كما هو الحال في الأنماط الأسلوبية القائمة على السخرية والمفارقة.

المستوى الثاني (المستوى التاريخي): ويتعلق بالقدرة على تكلم لسان معين بالذات، وسماها "كوزيريو" بـ"المعرفة اللسانية الخاصة" أي معرفة لسان بشري محدد تطور ونما تاريخيا في إطار الممارسات الثقافية والاجتماعية لمجموعة لسانية خاصة (كالعربية أو الفرنسية مثلا).

المستوى الثالث (المستوى الفردي/الخطابي): ويختص بالإنتاج الفردي والفعلي لخطاب ما وهنا تبرز "القدرة الخطابية" المتعلقة بالمعرفة التعبيرية، إنه مستوى مستقل بنيويا عن المستويين الآخرين، لكونه يرتبط مباشرة بمراعاة القصد، والموضوع، وطبيعة المتلقي، والوسيط المعتمد (اللغة)، بالإضافة إلى المقام التواصلي، وهو ما يتضمن بالضرورة المعرفة العميقة بحجم بنية الخطاب وصياغاته الممكنة، وحول الأنماط النصية وخصائصها التجانسية[1].

ثالثا: الخطاب بوصفه نظاما مركبا للمستويات المعرفية:

بناء على هذا التقسيم الكوزيري يجمع الخطاب إذن أنواعا ومصفوفات مختلفة من المعارف، بعضها متعلق بالنظام اللغوي الصرف وقواعده، وبعضها الآخر متعلق بما يحيط بالخطاب من سياقات مقامية، واجتماعية، ونفسية مختلفة، وتتم صياغة هذه المعارف وتركيبها وتوليفها داخل البنية النصية بحسب مقاصد المتكلمين، والتوجه الدقيق إلى مخاطب معين ضمن مقام تواصلي خاص، مما يتطلب بالضرورة تفعيل "معرفة التفاعل" و"معرفة المقصود بالقول" المراد سماعه وفك تشفيره من قبل المتلقي، وبذلك لا يعود الخطاب مجرد رص للكلمات، بل يمثل نظاما مركبا ومتشابكا لمستويات معرفية وعرفانية مختلفة.

يتحرك الخطاب في أحدث المقاربات اللسانية المعرفية بوصفه جهازا إدراكيا مركبا، تتضافر في تشكيله مستويات متعددة من الكفايات الذهنية والنسقية، فالوصول إلى البنية

[1] – بسمة بلحاج رحومة الشكيلي وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 68.

الدلالية العميقة للخطاب لا يتوقف عند حدود تشغيل "الكفاية اللغوية النحوية" التي تمكن المتكلم من رصف الجمل، بل يستلزم تفعيل كفاية عرفانية أشمل تعنى بكيفية تمثل الذات البشرية للعالم الخارجي وتخزينها للخبرات وتخمرها في شكل خطاطات ذهنية، إن هذا التراكب المنهجي يعني أن الخطاب هو نقطة الالتقاء الحيوية بين المكون الفطري الكلي المشترك بين البشر، والمكون السوسيوتاريخي الذي يمثله نسق لسان معين، والمكون التداولي الفردي الذي يراعي مقاصد التخاطب ومقتضيات المقام وسياق الحال، مما يجعل من النص وحدة معرفية متكاملة ومفتوحة على آليات التأويل الإنساني[1].

خلاصة:

نخلص في نهاية المطاف من خلال استقراء معطيات المحاضرة الثالثة عشرة، إلى أن مقاربة الخطاب بوصفه "تقاطعا من المعارف" قد نقلت البحث اللساني من التوصيف الهيكلي المغلق إلى رحابة "اللسانيات العرفانية" والتحليل المعرفي الشامل، فالخطاب لم يعد يقارب بوصفه ظاهرة لفظية معزولة، بل استحال مرآة ذهنية تنعكس عليها توافقات عرفانية وخبرات إنسانية متخمرة، تتداخل في تشكيلها أبعاد الواقع، والذات، والفلسفة، وتتخذ من اللغة قناة تمثيلية لها.

وتتبدى القيمة الأبستمولوجيا لطروحات "أوجينيو كوزيريو" في تجاوزه للثنائيات اللسانية التقليدية عبر صياغة معمارية ثلاثية المستويات (الكلي، التاريخي، والفردي)، حيث نجح في إبراز الخطاب بوصفه نتاجا لـ"قدرة خطابية وتعبيرية فردية مستقلة"، لا تكتفي بامتلاك القواعد الكلية للكلام أو الخصائص التاريخية للسان معين، بل تتعداها إلى مراعاة المقاصد، والمقامات، ونوعية المتلقين، ورأب الفجوة بين المقول والمقصود، وبناء على هذا يغدو الخطاب نظاما معرفيا مركبا يتطلب فك تشفيره تشغيل كفاءة تفاعلية وعرفانية مشتركة بين الباث والمستقبل، مما يرسخ حقيقة أن لسانيات الخطاب الحديثة قد غدت حيزا معرفيا تتقاطع فيه اللغة بالفكر والواقع لإنتاج دلالات منسجمة قادرة على استيعاب كينونة الإنسان التواصلية.

---

[1] – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2000م، ص ص 23–25.

المحاضرة الرابعة عشر

الأسلوبيّة وتحليل الخطاب 1

عبد السلام المسدي – محمد الهادي الطرابلسي

يرى عبد السلام المسدي بضرورة تكامل عناصر الفكر الأسلوبي (خطاب / مخاطَب / مخاطِب)

ويضيف الطرابلسي أهمية دراسة الأساليب التي تعبّر عن اختيارات المؤلف.

1 – عبد السلام المسدي :

يثير" **عبد السلام المسدي** "موضوع التفاعل العضوي الحاصل أثناء عملية الخطاب، فإذا لم يتحقّق لا يمكن وجود مخاطِب دون مخاطَب وخطاب، كما لا يكون مخاطب ولا خطاب ما لم تتكوّن أضلاع المثلث . ويوعز الفكر الأسلوبي إلى المنه ا لاختباري لإثبات" **حضور** "المتقبّل في العملية الإبلاغية، فانعكاس تواجد المتلقي من خلال متن الخطاب يعلم علم الضرورة وهو ما يمكن استغلاله في بلورة الأبعاد السوسيولوجية والنفسية في الظاهرة اللغوية، ويعلل بعض اللغويين هذا الواقع برغبة الباث مهما كان انتماؤه الاجتماعي، وأيّا كان سلم وعيه وإدراكه، وسواء خاطب مشافهة أو تحريرا في حمل– المخاطب لا على فهم محتوى رسالته فحسب، بل على تقمص حقيقة التجربة المنقولة– عبر الخطاب كذلك، ومفهوم "**الإقناع** "باعتباره شحنات منطقية يستخدمها المخاطب لحمل المتلقي على التسليم الحيني بمدلو لات رسالته، ثم إنها تشتمل أيضا معنى **الإمتاع** باعتباره ذلك السعي الحثيث نحو جعل الكلام قناة تعبره المواصفات التعاطفية التي تستقطب فكرة الإثارة، وبموجبها يكون "الخطاب "عامل استفزاز يحدث في المتلقي ردود فعل ما كان لها أن تستنفر بمجرد مضمون الرسالة الدلالية ولولا اصطباغ الخطاب بألوان ريشة الأسلوب[1].

ومشكل الأسلوبية اليوم عند المسدي ليس هو مشكل الجدة في العلم، بصرف – الجهد إلى بيان طرافته، وسداد منحاها، والأسلوبية تحتاج اليوم أكثر من أي عم آخر إلى أن يوفق فيها بين نتائج النظر وثمرات التطبيق توفيقا كاملا، ولا يهم دارس الأسلوب من وظيفة الظاهرة اللغوية بالدرجة الأولى ما يرجع منها إلى الدور الإخباري الذي يكون لها في سياق الكلام،

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 79 – 82 .

كما لا يهمه ما يرجع منها إلى الطاقات الإيحاصية المطلقة التي يمكن أن تكون لها فيه وفي غيره من السياقات على قدم المساواة [1] .

ويبدو أنّ إلحاق زاوية المتلقي قارئا كان أو سامعا في مقاربة التنظير والتحديد قد – أكسب النظرية الأسلوبية ثراءً في تعريف موضوعها ألا وهو" **الأسلوب**"، ذلك أن فرضية المخاطب في قراءة ماهيّات الأسلوب تقوم نقضا للمبدأ الأنثولوجي المطلق، واعتراضا على أبدية الانتساب بين الباث وملفوظه [2] .

وتكاد جميع التيارات التي تتخذ الخطاب أسّاسا تعريفيا للأسلوب تنصبّ في مقياس تنظيري الذي هو بمثابة عامل مشترك موحّ د بينها جميعا، ويتمثل في مفهوم" **الانزياح**" حيث يستمد دلالته لا من الخطاب الأصغر كالنص والرسالة، وإنما يستمد تص وره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي فيها يُسبك [3] .

2 – محمد الهادي الطرابلسي :

اتخذ الطرابلسي الشوقيات (ديوان أحمد شوقي) مجالا للدراسات الأسلوبية وكان يهدف من خلال هذا البحث إلى[4] :

1 – وصف نظام اللغة العربية بالاعتماد على كلام عربي يمثلها طور من أطوارها، فندرك خصائصها المميزة وإمكانيات التطور فيها.

2 – وصف حياة العرب من خلال نصوصهم الشعرية خاصة، لتحديد مدى مساهمتها في خلق الجو الشعري الذي قد يجعلنا نوفق إلى حدود المستويات المختلفة في الكلام ونهتدي إلى وظائف اللغة المختلفة في بلورة هذه المستويات.

3 – وصف الحياة العربية من خلال اختيار شاع ر بعينه وهو" أحمد شوقي "لندرك السبيل إلى إثرائها العام من ناحية، وإلى بناء الأساليب الخاصة المميزة انطلاقا من إمكانيات اللغة المشتركة من ناحية أخرى.

---

[1] عبد السلام المسدي، قضية البنوية، ص219 .

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 87 .

[3] المرجع نفسه ، ص98 .

[4] محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، عرض محمد عبد المطلب، مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد 3 ، ع 1 ، ص 266 .

مع العلم أنّ محمد الهادي الطرابلسي قد اعتمد على أن لا يكون احتكام إلى أحدهما إلا إذا توفر في شأنيهما ميزان يشهد بصحة ما توفر في الأول[1]، ليقضي على التشكيلية والانطباعية.

وتبدو إضافة" الطرابلسي "في مجال التحليل الأسلوبي مهمة جدا، حيث نجده قد ركز على الأساليب التي استعملها المبدع خصوصا تلك التي تف رد بها فكانت على أساليب اللغة، أو تلك الاستخدامات التي خرج بها الشاعر عن المألوف، أو تلك التي ينعدم أثرها أو قلَّت في نصه، أو تلك التي تكون معاكسة لحركة التطور اللغوي مما يعود بها إلى وضعيتها، وقد يكون الاهتمام موجّ ها إلى قدرة الشاعر في قصيدة دون أخرى، أو غرض دون آخر، من خلال الانطباع عند مباشرة النص[2] .

وقد اتبع" الطرابلسي "تقسيما منهجيا نورده كما يلي:

القسم الأول: يخص أساليب مستويات الكلام : ويتناول فيه الموسيقى، مستوى الملموسات والحركة ومستوى المرئيات والصور.

القسم الثاني: يخص أساليب هياكل الكلام، ويشمل الهيكل الخارجي كالمعارضات والحكايات، ثم الهيكل الداخلي من التراكيب والتعابير والأساليب الإنشائية.

القسم الثالث: يخص أساليب أقسام الكلام، تناول فيه التنكير والتعريف ودلالة الأعلام، والضمائر والجمع والتثنية وكذلك دلالة المباني ودلالة المعاني والتمكن والتخصيص والتعميم والدخيل والفعل ومنه الأدوات والحروف.

وهنا نجد دراسة منهجية قائمة على الإحصاء يهدف من خلالها الطرابلسي توخي الموضوعية حتى عدّها من الأعمال اللغوية والنقدية الشاملة التي لا نجد مثلها في الدراسات العربية.

وإذا كان بين الخطاب الأسلوبي النظري والتحليل الأسلوبي التطبيقي تفاعل وجدلية، فإن كل تحليل أسلوبي يقدّم للخطاب الأسلوبي قدرا من المادة المدعّمة والنتائج المقَّومة والعناصر

---

[1] محمد الهادي الطرايلسي، في منهجية الدراسة الأسلوبية، مجلة الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث، عدد نوفمبر/ ديسمبر، 1983 ، تونس، ص 260.

[2] محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 269 .

المطورة أكثر مما يقدم النظر للتحليل من وسائل الثراء والتطوير، فالخطاب الأسلوبي الذي يمكن أن نصوغه قبل تعميم مباشرة التحليل وتنويع التطبيقات لا يساعد الدارس إلا في الانطلاق وذلك بتوجيهه عملية التحليل الوجهة الأسلوبية وإعداده لها الاختيارات المنهجية العامة والمقومات العلمية الدنيا[1]. أي إن الأسلوبية تفترض منهجا وتشبعا بعديد الممارسات الأدبية.

[1] محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، د ط، تونس، 1992 ، ص8 .

المحاضرة الخامسة عشر

الأسلوبية وتحليل الخطاب 2

نور الدين السد – علي ملاحي – منذر عياشي

ساهم كلّ من نور الدين السد وعلي ملاحي و منذر عياشي تحديد مفهوم الأسلوب والأسلوبية، كما ساهموا في توضيح حدود استفادة الأسلوبية من اللسانيات، وبالتالي نجدهم قد أسهموا في تطور الدرس الأسلوبي العربي.

نور الدين السدّ:

أشرنا سابقا إلى أسبقية عبد السلام المسدي في نقل مصطلح " الأسلوبية "وترجمته، لكن "نور الدين السدّ " يطرح مفهومه للأسلوبية باعتباره علما يهدف إلى اصطباغ الدراسة الأدبية الصبغة العلمية انطلاقا من تحديد طبيعة الأسلوبية وماهيتها في التحليل، فالأسلوبية حسبه تهتم بعوامل التعبير الشعرية التي يتوسّلها الخطاب الأدبي، فتكتسي الطابع العلمي التقريري في وصف الوقائع وتصنيفها بالشكل الموضوعي والمنهجيي[1] .

أمّا الأسلوب عند نور الدين السد فيعرفه بأنه الكيفية التي ل بها ّ يتشك ق مشروعية وجوده، فالأسلوب كينونة في ذات النص، به يحقق ّالنص الأدبي، وبه يحق وجوده، وهو ليس ظاهرة خارجية عن النص بل ظاهرة تدخل في تكوينه، فالأسلوب هو النص في ذاته[2].
ويردف نور الدين السد أنه صحيح استفادت الأسلوبية من اللسانيات وتقاطعت معها في كون العلمين يدرسان اللغة، لكن الأسلوبية تتجاوزها بدراسة تشكيل المعنى داخل النص الأدبي، والجدول الآتي يوضح الفرق[3] :

اللسانيات	الأسلوبية
تعنى بالجملة	تعنى بالكلام
تعنى بالتنظير إلى اللغة فرضا	تتجه إلى المحدث فعلا
تعنى باللغة من حيث هي مدرك مجرد	تعنى باللغة من حيث هي الأثر الذي تتركه

[1] Gérard Genette , Figures III , Editions du Seuil, Paris, 1966, p183.

[2] عبد العزيز بن عرفة، القراءة الإبداعية (النص، المعنى، الاستعارة، السرد)، الحياة الثقافة، ع 41 ، 1986 ، ص 43.

[3] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 47/46 .

تمثله قوانينها	في نفس المتلقي

وهنا يضيف" نور الدين السدّ " الدراسات الأسلوبية أن قد استفادت من اللسانيات في مجال تحديدها لقدرة المتكلم على استعمال الأصوات للدلالة اليومية أو الدلالة الفنية[1] .

مفهوم الانزياح عند نورالدين السدّ:

يعتبره انحرافا للكلام عن طبيعته المألوفة، فهو كلّ حدث لغوي يظهر من خلال تشكيل الكلام وصياغته، وبواسطته يمكننا التعرّف على طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكننا اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته، وقد قسّم الأسلوبيون اللغة إلى:

1 – المستوى العادي : وظيفته إبلاغية.

2 – المستوى الإبداعي : يخترق الاستعمال المألوف للغة.

وعليه يقرّ نور الدين السدّ الدرس الأسلوبي في أن درس اللغوي العربي ليس جديدا، فهو نشاط شهدته جميع المعارف التي عدّت الخطاب موضوعا لها، إذ لاحت ملامحه في الدرس القرآنية، والدرس البلاغي، والدرس النقدي، والشروح الشعرية .

علي ملاحي:

يُقرّ علي ملاحي أن التفريق بين اللسانيات والأسلوبية يُعدّ أمرا ذا تشعّب، وسببه التداخل بين العلمين، حيث يحاول كل منهما أن يغرف من الآخر[2]، فالأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات، وكغيره من الدارسين الأسلوبيين. وينطلق علي ملاحي من النص للتعرّف على طبيعة العلاقات التركيبية النحوية التي تتكوّن في السياق التركيبي بهدف الوصول إلى إحصاء ووصف الرموز عبر سياق جملة القصائد الشعرية الجديدة الأسلوبية التي تتوزع[3] . حيث إن التعبير الشعري هو جملة من البنى النحوية، والمعجمية، والصوتية، والدلالية، والصرفية المتكاملة بعضها ببعض، في تناسق تفرضه طبيعة الشعر المتميزة[4] .

---

[1] المرجع السابق، ص5 .

[2] علي ملاحي، الجملة الشعرية في القصيد الجديد، السياب أنموذجا، دار الأبحاث الجزائرية، ط 1 ، 2007 ، ص11 .

[3] المرجع نفسه، ص 79.

[4] المرجع نفسه، ص 106.

فالهدف إذن من كل تحليل أسلوبي حسب علي ملاحي هو التعرّف على طبيعة القيم الأسلوبية ومن ثمّ الخصائص التركيبية، على أساس أن البحث في النمط الشعري مختلف في تعامله مع القيم اللغوية[1] .

منذر عياشي:

يُشير منذر عياشي إلى الفروق بين الأسلوبية واللسانيات، حيث ينبّه بأنه قد ها علم لن يلبث حتى ّ كان الظنّ بالأسلوبية أن تحظى باستقلاليتها، فتنفصل كليّا عن الدراسات اللسانية، و هذه الأخيرة ّ ذلك لأن موضوعها الأساس هو" الجملة"، أما الأسلوبية فتعنى بالإنتاج الكلي للكلام[2] .

ويتناول البحث الأسلوبي وقائع التعبير اللغوي من ناحية الحمولات الوجدانية، أي إنها تدرس إجرائيا تعبير الوقائع للحساسية المعبّر عنها باستعمال اللغة، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسيّة[3] .

وبخصوص التراث العربي يضيف منذر العياشي أن البحث فيه يكشف أنه قد عرف الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي، ولو تعمّق الباحث فيه تأكد أنّ البحث البلاغي في اللغة العربية كان درسا أسلوبيا على وجه الكمال[4] .

ويعتقد منذر العياشي أن الأسلوبية تعنى أساسا بالإنتاج الكلي للكلام. كما نجدها تتجه إلى المحدث فعلا، أيضا نجدها تهتمّ باللغة انطلاقا من الأثر أو الوقع الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر.

والأسلوبية عنده هو العلم الذي يدرس اللغة داخل نظام الخطاب، ولكنهها كذلك عدّت العلم الذي ّ يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس، ولذلك يعدّ موضوع هذا العلم متعدّد الزوايا، بمختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات .ونعلم جميعا أن اللغة ليست حكرا على ميدان إيصالي دون آخر، لذلك يعتب ر موضوع" الأسلوبية "بالتالي ليس

---

[1] المرجع السابق، ص 106.

[2] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص47 / 46

[3] بيار جيرو، الأسلوبية، تر :منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط 2 ، حلب، سوريا، دت، ص 54 .

[4] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص27.

حكرا على ميدان تعبيري دون غيره . كما يبقى صحيحا أن الأسلوبية هي صلة اللسانيات بالأدب ونقده[1] .

ومن ذلك كله نستنتج أن منذر العياشي يقرّ بأن الأسلوبية تدرس الخطاب من خلال الأثر أو الوقع الذي يقع في المتلقي أثناء الاستعمال .

[1] المرجع السابق، ص11.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: كتب باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
2. أبو العدوس (يوسف)، الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
3. أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
4. إدوارد سابير، اللغة: مقدمة في دراسة الكلام، ترجمة: المنصف عاشور، ج1، تونس: الدار العربية للكتاب، 1997م.
5. إسراء أبو رنة، «تعريف الانزياح لغة واصطلاحاً»، موقع سطور(sotor.com) ، نُشر يوم 2023/02/21.
6. بن مالك (رشيد)، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2000م.
7. بيار جيرو (أو بيير غيرو)، الأسلوب والأسلوبية (الأسلوبية)، ترجمة: منذر عياشي، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1994م / وحلب: مركز الإنماء الحضاري، ط2، 2008م.
8. بيار جيرو، الأسلوبية، تر : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط 2 ، حلب، سوريا، دت.
9. تشومسكي (نوام)، المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993م.
10. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م.
11. جاك آن موشلر، وأني ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: عز الدين المجدوب، دار سيترا، تونس، 2010م.
12. جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة: بسام بركة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
13. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات العرفانية، ترجمة: مصطفى غلفان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002م.
14. الحاج صالح (عبد الرحمن)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر: موفم للنشر، 2007م.
15. الحباشة (ناصر)، التداولية والحجاج: مدخل ونصوص، دار صفحات للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

16. حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في شعر السياب، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 2002م.
17. رولان بارث، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1993م.
18. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1988م.
19. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
20. سبقاق (صليحة)، «المفارقة في الشعر العربي الحديث»، مجلة اللغة الوظيفية، مج1، ع22، 2015م.
21. سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، القاهرة: دار عالم الكتب، ط3، 1992م.
22. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1997م.
23. سوسير (فرديناند دي)، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2006م.
24. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، الدار البيضاء: دار أبحاث للترجمة والنشر، 2004م.
25. الشكيلي (بسمة بلحاج رحومة) وآخرون، مقالات في تحليل الخطاب، وحدة البحث في تحليل الخطاب، كلية الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، 2008م.
26. صحراوي (مسعود)، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
27. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1996م.
28. صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته، القاهرة: دار الشروق، 1998م.
29. عبد السلام المسدي، قضية البنوية، ص219 .
30. عبد العزيز بن عرفة، القراءة الإبداعية (النص، المعنى، الاستعارة، السرد)، الحياة الثقافة، ع 41، 1986 .
31. عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2009م.
32. عشير (عبد السلام)، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.

33. علي ملاحي، الجملة الشعرية في القصيد الجديد، السياب نموذجا، دار الأبحاث الجزائرية، ط 1 ، 2007 .
34. الفاسي الفهري (عبد القادر)، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2000م.
35. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (فرق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.
36. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005م.
37. كلود مارتن، التواصل غير اللفظي، ترجمة: منيرة أحميد، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1992م.
38. مارك نيب وجوديث هول، التواصل غير اللفظي في التفاعل الإنساني، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 311، 2005م.
39. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، بالاشتراك مع الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
40. محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، د ط، تونس،1992 .
41. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، عرض محمد عبد المطلب، مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلد 3 ، ع 1 .
42. محمد الهادي الطرايلسي، في منهجية الدراسة الأسلوبية، مجلة الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث، عدد نوفمبر/ ديسمبر، 1983 ، تونس.
43. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2002م.
44. المسدي (عبد السلام)، الأسلوب والأسلوبية، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م.
45. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الانماء الحضاري، ط1، حلب، سوريا، 2002.
46. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ط1 ، دمشق، سوريا، 1990.
47. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، ط1، 1997م.
48. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص، ترجمة: محمد العمري، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1999م.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

49. Dubois (Jean) et autres, Dictionnaire de Linguistique, Paris: Larousse,
50. Gérard Genette , Figures III , Editions du Seuil, Paris, 1966, p183.

فهرس المحتويات

المحاضرة		الصفحة
المحاضرة	**مقدمة**	أ ـ د
01	الأسلوبيّة: مفهوم الأسلوبيّة ومجالها	7
02	الأسلوبيّة التّعبيريّة	13
03	الأسلوبيّة البنيويّة	20
04	الأسلوبيّة الإحصائيّة	25
05	الأسلوبيّة النّفسية	33
06	الأسلوبيّة التّوزيعية	38
07	الظواهر الأسلوبية (الانزياح والمفارقة)	47
08	تحليل الخطاب: ضبط مفهومَي النصّ والخطاب	56
09	أصناف الخطاب: الخطاب اللّغوي وغير اللّغوي	63
10	مقاربات تحليل الخطاب 1 (الخطاب بوصفه مستوى فوق الجملة)	68
11	مقاربات تحليل الخطاب 2 (الخطاب بوصفه وحدة دلالية)	72
12	مقاربات تحليل الخطاب 3 (الخطاب بوصفه فعلا لغويا)	77
13	مقاربات في مفهوم الخطاب (الخطاب بوصفه تقاطعا من المعارف)	82
14	الاسلوبية وتحليل الخطاب 1 (عبد السلام المسدي ـ محمد الطرابلسي)	86
15	الاسلوبية وتحليل الخطاب 1 (نور الدين السد ـ علي ملاحي ـ منذر عياشي)	90
	المصادر والمراجع	94
	فهرس المحتويات	97